

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الهجرات الأندلسية وتأثيراتها الإقتصادية والاجتماعية
على بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ -
10هـ/13-16م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ (ة):

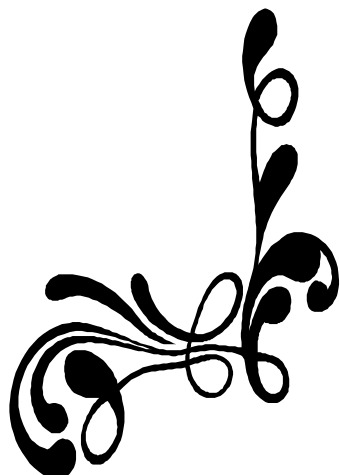
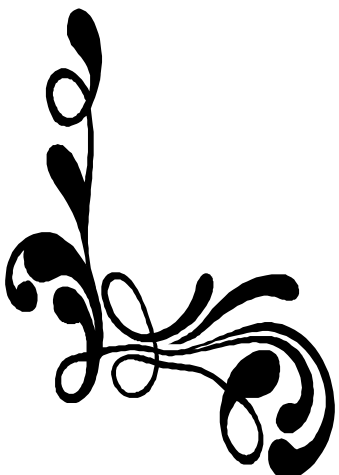
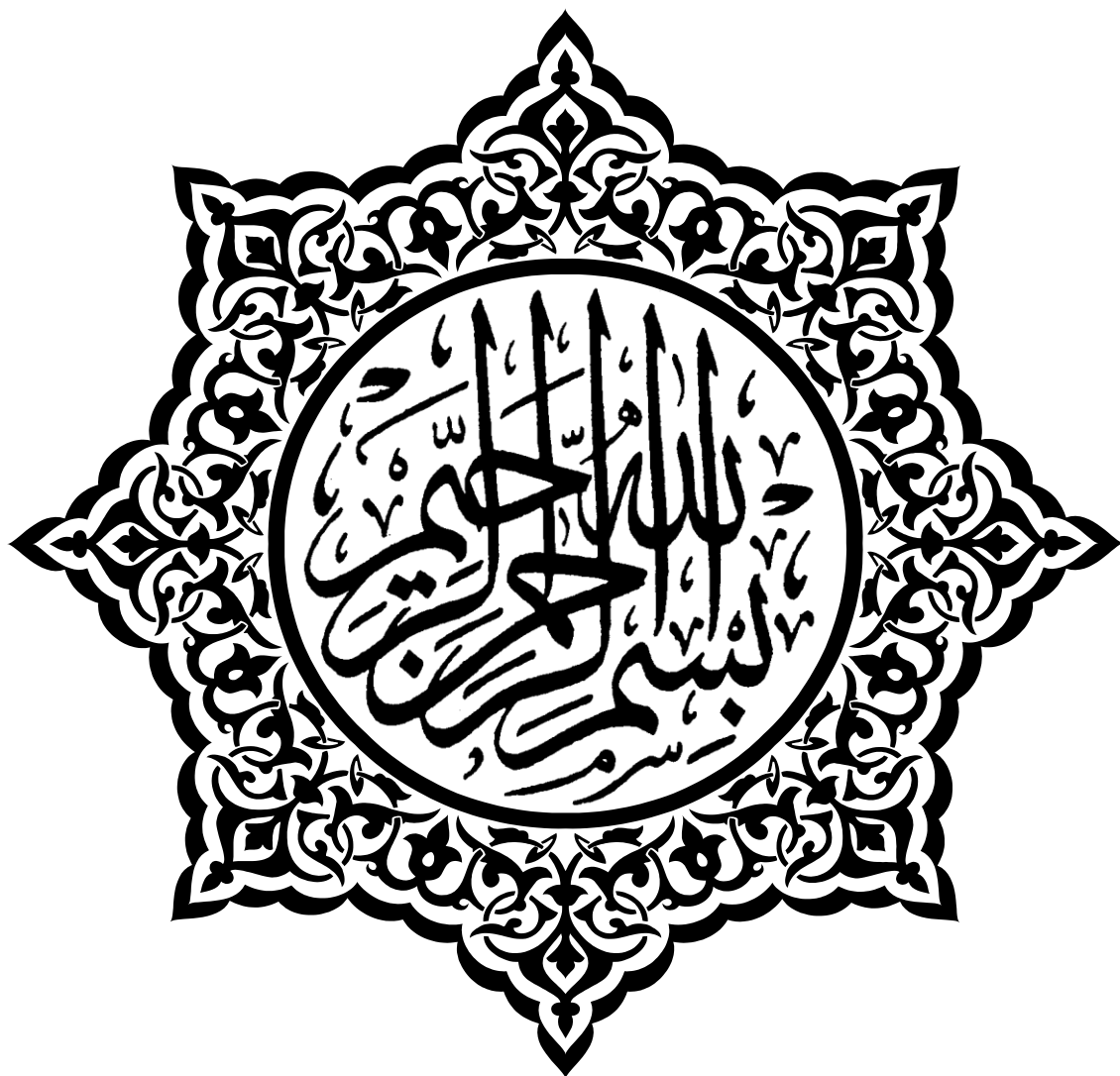
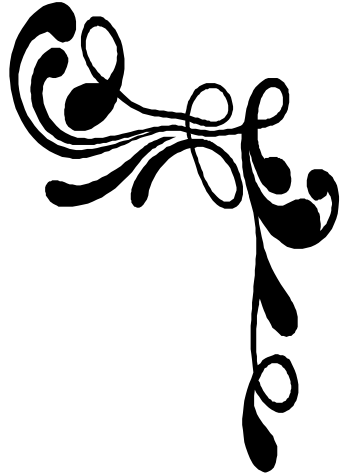
- عامر خير

إعداد الطالبة:

- ليلى دحماني

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
		رئيسا
أ. عامر خير		مشرفا
		مناقشا



شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

أتقدم بخالص الشكر الجزيل والعرفان بالجميل والاحترام والتقدير لمن غمرني بالفضل واختصني بالنصح وتفضل علي بقبول الإشراف على رسالة الماستر أستاذي ومعلمي الفاضل الأستاذ

"خير عامر"

الذي سهل لي طريق العمل ولم يبخل عليّ بنصائحه القيمة ، فوجهني حين الخطأ وشجعني حين الصواب ، فكان قبس الضياء في عممة البحث وكان نعم الناصح ومنحني الثقة و غرس في نفسي قوة العزيمة ولم يدخر جهدا ولم يبخل عليا من وقته الثمين أبقاه الله ذخرا الطلبة العلم وجعل ذلك في ميزان حسناته وأرضاه بما قسم له

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ وخاصة الأستاذ

"حروز عبد الغني"

وفي الأخير نشكر كل طاقم مكتبة المنتدى

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أمي العزيزة التي تملك الجنة تحت أقدامها

إلى أبي الحنون الذي وقف بجاني من الصغر إلى الكبر

إلى نروجي الحبيب الذي أنمرني عند المحن

إلى إخواني "هشام"، "يوسف"، "عبد القادر"، "ياسين"، "محمد عبد الله"

وإلى أخوالي "عامر"، "مفتاح"

إلى أساتذتي الأفاضل "خير عامر"، "حرونر عبد الغني"

إليكم أهدي هذا العمل وأرجو من المولى أن يجعله في ميزان الحسنات

ليلى





قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة
ط	طبعة
تع	تعريب
تح	تحقيق
مج	مجلد
ج	جزء
د:ط	دون طبعة
هـ	تاريخ الهجري
ع	العدد
تر	ترجمة
د:ت	دون تاريخ
إلخ	إلى آخره
هـ	الهجري
م	الميلادي
ق	القرن
ض	ضبط
تع	تعليق
مر	مراجعة

مَعْرِفَةٌ



كان الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس معلما حضاريا وحدثا هاما، حيث امتزجت بالمنطقة حضارات سابقة مع حضارة جديدة وهي الحضارة الإسلامية متخذة من الأندلس محطة لتصدير الإنتاج الحضاري، لكن اصطدمت بالأطماع الأوربية التي نشطت الحملات الصليبية خلال القرن 7هـ-10هـ / 13م-16م، على أرض الأندلس، وتجمع النصارى في ممالكهم القوية بل وفي أوربا كلها لنصرة المسيحية، وفي نفس الوقت كان المسلمون يتقاتلون على كرسي العرش الذي كان زائلا لامحال.

فكثر الخلفاء والامراء المتناحرين، لاسيما بعد انهيار الحكم الموحدى فيها بسبب الهزائم العسكرية المتوالية والكثيرة، أدى ذلك الوضع السياسي المتأزم إلى اندفاع قوة النصارى بجيوشها في لهفة وشوق لإقتلاع الوجود الإسلامي من الجزيرة الإيبيرية، ومما زاد في همتهم هي الإنتصارات المتتالية على جيوش المسلمين التي اصعفتها الصراعات الداخلية بين أمرائها الضعفاء الذين استعانوا بالنصارى على بعضهم البعض هذا ما أدى لسقوط أكبر المدن والحوضر الإسلامية في الأندلس وهو ما حتما على سكانها الى تفضيل الهجرة لجهات العالم الإسلامي بحثا عن الأمن، وبسبب كثرة الاضطهادات اضطر السكان خلال القرن 7-10هـ/13-16م إلى ترك أرض الأندلس التي تقاسمتها الممالك النصرانية، وهاموا على وجوههم في كل صوب وذلك رغبة في الوصول إلى بلاد الأمن والإستقرار لتكون محل الوطن المفقود والضائع، بينما أصبحت الممالك النصرانية تنعم بالإستقرار السياسي والتنامي في القرة العسكرية والاقتصادية وباشرت في الإستيلاء على كل ما بقي من أراضي المسلمين وفي الوقت العصيب الذي كانت تمر به بلاد الأندلس كانت الأوضاع في بلاد المغرب بعد زوال الحكم الموحدى، تمهد لقيام دويلات مستقلة، فخرج عن ذلك المخاض الطويل دولة (بني حفص، بني زيان، بني مرين)، فكانت أرض المغرب الأوسط التي استقل بها بني زيان محل استقطاب الوافدين والمهاجرين النندلسيين لاسيما أصحاب الكفاءات من الحرفيين والصناع والعلماء والأدباء وذلك لبث معالم الحضارة الأندلسية في الدولة الزيانية فأسندت



المراتب الحساسة إليهم، فكان لهم الأثر البالغ على تطور المغرب الأوسط وإزدهاره في الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن 7-10هـ / 13-16م.

- أسباب اختيار الموضوع:

لم يكن اختيارنا للموضوع من وحي الصدفة بل هناك أسباب دفعتنا إلى دراسته نذكر منها:

* أن الموضوع لم ينل نصيبا واسعا من الدراسات خاصة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي.

* اهتمامنا لدراسة الآثار المترتبة عن الهجرة إلى بلاد المغرب الأوسط.

* اتمام حلقة يمكن عدها مفقودة تتعلق بالآثار الحضارية للهجرات الأندلسية.

* الرغبة في المساهمة ولو بالقدر القليل في تاريخ المغرب والأندلس من خلال تتبع الآثار المترتبة عن الهجرة الأندلسية لبلاد المغرب الأوسط.

إن دراسة موضوع الهجرة الأندلسية لبلاد المغرب الوسط والآثار الحضارية المترتبة عنها (اقتصاديا واجتماعيا) خلال القرن 7-10هـ يطرح إشكالية رئيسية:

إلى أي مدى ساهمت الهجرة الأندلسية في الإزدهار الحضاري للمغرب الأوسط؟.

ولأن طرح هذه الإشكالية تضعنا أمام حقيقة تؤكد وجود هجرة أندلسية إلى بلاد المغرب الوسط وهذا يدفعنا إلى تساؤلات:

* كيف كان الوضع السياسي لبلاد الأندلس والمغرب الأوسط؟.

* ماهي الأسباب والدوافع التي أدت إلى الهجرة الأندلسية؟ وما مراحلها؟.

* أين استقر المهاجرون الأندلسيون بعد وصولهم إلى بلاد المغرب الأوسط؟.

* أين تكمن ملامح التأثير الأندلسي على بلاد المغرب الأوسط؟ وهل اقتصر على جانب واحد أم شملت جوانب متعددة؟.

* هل اقتصرت الهجرة الأندلسية على العائلات أم هاجر الأفراد؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة بحث مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة.



تناولنا في الفصل التمهيدي بداية الهجرات الأندلسية لبلاد المغرب عامة من القرن الثالث للهجرة إلى الثامن للهجرة.

أما الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى الوضع السياسي للأندلس وبلاد المغرب الأوسط من القرن 7هـ إلى 10هـ ، ومن 13م إلى 16م ، والذي يتكون من مبحثين فبالنسبة للمبحث الأول عنوانه الأوضاع السياسية في الأندلس، أما الثاني فعنوانه الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط.

أما الفصل الثاني موسوم بأسباب الهجرة الأندلسية ومراحلها والذي انقسم بدوره إلى مبحثين، فالأول يتحدث عن أسباب الهجرة الأندلسية ، والثاني حول مراحلها.

أما الفصل الثالث موسوم بالتأثير الأندلسي في المجال الاقتصادي والذي انقسم بدوره إلى مبحثين، فالمبحث الأول عنوانه التأثير الأندلسي في المجال الزراعي والثاني بالتأثير الأندلسي في مجال الصناعات.

أما الفصل الأخير موسوم بالتأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي فقسم بدوره إلى مبحثين، بالنسبة للمبحث الأول يتحدث عن أماكن استقرار الأندلسيين بالمغرب الأوسط، والثاني يتحدث حول التأثير الاجتماعي للأندلسيين.

وختمنا دراستنا لهذا الموضوع بخاتمة جمعنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها حول موضوع الدراسة، كما دعمنا البحث بمجموعة من الملاحق التي لها علاقة بالموضوع، ثم تليها قائمة المصادر والمراجع.

وقد اتبعت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي لملائمته لنوع الدراسة، ويتمثل هذا المنهج في الوقوف على المصادر التاريخية المتصلة بالموضوع واقتباس المادة العلمية منها ثم مقارنتها وتحليلها اعتمادا على المصادر العامة والمتخصصة.

نقد المصادر والمراجع:

ولكي تكون هذه الدراسة موثقة اعتمدنا في إنجازها على عدة مصادر خاصة بالدولة الزيانية والأندلس وأخرى عامة عن بلاد المغرب والأندلس ومنها ما يتعلق بالسير والتراجم وكذا كتب الجغرافيا وكتب النوازل ومن هذه المصادر:



أ- كتب التاريخ العام:

1- كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر" لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1405م)، وهو مصنف تاريخي موسوعي من أهم المصادر في دراسة تاريخ المغرب والأندلس خاصة الناحية السياسية وهو في سبعة أجزاء وقد اعتمدنا على الجزء الأول المعروف بالمقدمة فيما يخص جانب الصناعات، كما اعتمدنا على الجزئين السادس والسابع لما تضمناه من معلومات وافية ومادة تاريخية جمة عن المغرب الأوسط والأندلس خلال فترة الدراسة.

2- كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، لأبي زكريا يحيى بن خلدون (ت 780هـ/1378) وهو في جزئين، حيث تم الاعتماد بالدرجة الأولى على الجزء الأول الذي أرخ لبني عبد الواد وترجم لعدد من الصالحين والفقهاء الذين ولدوا بتلمسان، حيث كانت له علاقة بالأسرة الزيانية وعاش في بلاطها، فستغل وجوده ببلاط الزياني في إنجاز هذا الكتاب، حيث تولى كتابة الإنشاء للسلطان أبو حمر موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) ، وبذلك يكون شاهد عيان على الفترة موضوع الدراسة وما أعيب على المؤلف قصر ترجمته وإغفال تاريخ الميلاد والوفاة للإعلام المترجم لهم ، ولكنه ترجم لعلماء أندلسيين ومغاربة لم يرد ذكرهم عند غيره ولهذا أعتبر الكتاب ذو أهمية.

3- كتاب التراجم: كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " لمؤلف أبو العباس أحمد الغبريني (ت 704هـ/1304م) ،وهو عبارة عن تراجم لمشاهير وأعلام بجاية من شيوخ العلم ورجال السياسة و الدين والتصوف والأدب الذين اشتهرت بهم بجاية في القرن 7هـ / 13م، وقد اعتمدت عليه في ترجمة بعض الشخصيات الأندلسية التي حلت بمدينة بجاية أو التي مرت بها.

كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب"، لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م)، وهو عبارة عن موسوعة تختص بدراسة بلاد المغرب والأندلس من جانب تاريخها الثقافي والاقتصادي



والسياسي الاعتماد عليه في معرفة تراجم العلماء بإضافة إلى الوضع السياسي للأندلس، كون المؤلف إلى جانب تراجمه يضيف مصنفاً ومقاطع شعرية ونثرية.

كتب الجغرافيا:

كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت487هـ/1094م)، ويعد من المصادر التاريخية المهمة، فقد وصف فيه صاحبه أهم الفرق والمدن المغربية ونتاجها الزراعي بدقة.

كتاب "وصف إفريقيا" لصاحبه محمد بن الحسن الوزان (ت956هـ/1549م) رصد أهم المنتوجات الزراعية المتواجدة ببلاد المغرب وأهم المدن المنتجة لها الذي أفادنا في الجانب الاقتصادي، وكذلك المدن التي استقروا بها الأندلسيون.

كتب النوازل:

كتاب "المغيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني (ت914هـ/1509م) وهو موسوعة شاملة جمع فيه أجوبة المتقدمين والمتأخرين من أهل المغرب والأندلس مرتب حسب الأبواب الفقهية، تم الاعمال عليه في وجوب الهجرة الأندلسية من أرض الكفر إلى أرض الإسلام عندما تم الاستلاء على الأندلس من طرف النصارى.

ولم تقتصر هذه الدراسة على الاعتماد على المصادر فقط بل استعنا فيها أيضاً بمجموعة من المراجع والدراسات الحديثة منها كتاب دراسات في تاريخ المغرب لمحمد رزوق وغيرها من الكتب بإضافة إلى المجلات والدوريات منها مجلة الأصالة، العدد 26 بعنوان الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين "لمحمد الطالبي" بالإضافة إلى مجلة القرطاس بعنوان هجرات المورسكيين إلى الجزائر ومساهماتهم في مواجهة المد الأيبيري في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16م "لمرجاني عبد القادر".

وما من باحث في التاريخ إلا وتعرضه صعوبات ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة نقص المصادر المتخصصة بصورة مباشرة في موضوع الهجرة الأندلسية مقارنة بالمصادر العامة التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس والتي تحتوي على إشارات لبعض



جوانب الموضوع خاصة الجوانب الاقتصادية، وكيفية بناء خطة تحيط بالموضوع من جميع جوانبه.

وفي الختام لايسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى أستاذي "خير عامر" الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة وتكبد عناء دراستها، كما أمدني بالعديد من التوجيهات والنصائح في سبيل إتمام هذا العمل.

كما لا أنسى أن أشكر ايضاً أستاذي "حروز عبد الغني" الذي أمدني بدعم علمي عزيز لإنجاح هذا العمل.

الفصل التمهيدى

الاسباب التاريخية للهجرة من الأندلس إلى بلاد

المغرب (3-8/9-15)



لا أحد ينكر أنّ الأندلس* حلم حلمت به الأراضي الإسبانية فترة من الزمن ثم انقضى تاركاً في المنطقة آثاراً مادية شاهدة على مدى التطور الحضاري آنذاك. وتاريخ الأندلس جزء من التاريخ العربي اعتاد العرب أن يذكره بنوع من الحنين والإعجاب لأنها كانت في التاريخ العربي ذات لون خاص ذهبي السمات والتراث، وقد عبرت فيه العبقرية العربية عن ابداع ما عرف في عهدها من الفنون والفكر والعمران، وكانت حضارة الأندلس مشتقة من الحضارة العربية، ورغم ذلك ظلت تتميز على الدوام بطابعها الخاص الذي تمتزج فيه عبقرية الفكر بجمال البيئة حيث ابدعت فيها عقول وأيدي الأندلسيين.

كانت الأندلس آخر الفتوحات الإسلامية** في الغرب وقد تميز فتحها بأنه كان أول دخول للعرب إلى القارة الأوروبية¹، فتلت مرحلة الفتح الإسلامي مرحلة عرفت بعصر الولاة وأصبحت الأندلس خلالها ولاية تابعة للخلافة في المشرق وجزء لا يتجزء من المغرب.

*بلد في آخر الاقليم الرابع إلى المغرب وسميت جزيرة الأندلس جزيرة لأنها شكل مثلث يحيط بها البحر من جميع جهاتها، وسميت بالأندلس على أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها، كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدو المقابلة لها وإليه تنسب سبتة، والنصارى يسمون الأندلس اشبانيا باسم رجل صلب فيها يقال له إشبانس، وقيل باسم ملك كان بها في الزمان الأول اسمه اشبان بن طبطش : ينظر ؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ج-س.كولان، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980، ج2، ص2؛ أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج1، ص129؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص32.

** بعدما استتب الأمر للمسلمين في المغرب كان من الطبيعي أن تستمر عربة الفتح بعد ذلك موسى بن نصير لفتح الأندلس وذلك بعدما أخذ رأي الخليفة الوليد بن عبد الملك فرد عليه بأن يختبرها بالسرايا، فأرسل أحد من مواليه وهو طريف وعندما نجحت الحملة عمد موسى بن نصير لمولاه طارق بن زياد على فتح الأندلس في سنة 92هـ/ 714م. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرية، دار الكتاب اللبنانية، القاهرة، 1989، ص - ص16-17؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح : ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبنانية، 1989، ص33؛ منى حسن محمد، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص7.

¹مصطفى شاكر، الأندلس في التاريخ، دار إشبيلية، سوريا، 2002، ص5.



حيث يمتد عصر الولاة في الأندلس من نهاية أعمال الفتح في شبه الجزيرة الإيبيرية حتى دخول عبد الرحمان الأموي اسبانيا وقيام عصر الإمارة الأموية 138هـ / 756م¹ وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق* استطاع عبد الرحمان بن معاوية الملقب بالداخل إحياء الدولة الأموية في الأندلس، وقد نقل صبغة الحكم الوراثي إلى الأندلس وذلك بنقل السلطة إلى أولاده وأحفاده من بعده.²

ولكن هؤلاء الأمراء الذين أتوا من بعده لم يكونوا جميعا على مستوى واحد من القدرة والتمكن من الاضطلاع بشؤون الحكم، إذ انشغل معظمهم بالفتن والثورات التي كانت تقوم على الدولة من قبل مختلف الجماعات والشرائح الإجتماعية التي تعيش ضمن المجتمع الأندلسي إذ تولى بعده الحكم ابنه هشام الذي بقي ثماني سنوات في الحكم 172-180هـ / 788-796م، ثم حفيده الأول الحكم الذي حكم ستة وعشرون سنة 180-206هـ / 796-822م ، في أثناء ذلك كان قد مضى على الحكم العربي في الأندلس أكثر من قرن.³

وهي فترة كانت كافية لظهور الفتن والثورات في المجتمع الأندلسي ونتيجة لهذه الاضطرابات والفتن الداخلية اضطر سكان الأندلس إلى الهجرة** خارج الأندلس والاستقرار في أماكن تضمن الأمان وتوفر الأمن والاستقرار.

1 مصطفى شاكر ، المصدر السابق، ص5 .

2 عبد المجيد نعني، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص81.

* سقطت الدولة الأموية في المشرق على يد العباسيين في معركة الزاب قرب الموصل بتاريخ 11 جمادى الثانية 132هـ؛ نصر الله سعدون، تاريخ العرب السياسي في المغرب، ط1، دار النهضة العربية، 1988، ص53.

² منى حسن محمد، المرجع السابق، ص10؛ مصطفى شاكي، المرجع السابق، ص31.

³ مصطفى شاكر ، المرجع السابق، ص31-32.

** الهجرة : الخروج من أرض إلى أرض، وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من بادية إلى المدن يقال: هاجر الرجل إذا فصل ذلك وكذلك كل محل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه ومن المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشؤوا بها لله ولحقو بدار ليس بهم أهل ولا مال حيث هاجروا إلى المدينة فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلدا آخر فهو مهاجر والاسم منه الهجرة...؛ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1119، ج51، ص4618.



فكانت أهم الأماكن التي استقر بها المهاجرون الأندلسيون هي بلاد المغرب*، ومن خلال المصادر التاريخية يمكن الحديث عن أهم الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب بأقطاره الثلاث المغرب الأقصى، الأدنى والأوسط.

أولا: هجرة الربضيين: كانت هذه الهجرة نتيجة ثورة قام بها الفقهاء والحدادون ضد الحكم وحرصوا فيها العامة لما رأوه فيه من القسوة البالغة والانهماك في اللذات والمبازل ففي شهر رمضان سنة 202هـ مارس 818م قام أهل الرض** وهاجموا قصر الأمير واستطاع الحكم أن يقضي على ثورتهم قضاء فظيعا، وقتل خلقا كثيرا وأمر بحرق ديارهم وهدم مساجدهم وأمر بنفي من بقي منهم عن البلاد¹، فهاجر أفواج الربضيين المنفيين خارج الأندلس وحطت في أماكن عديدة وآثرت على سير الأحداث فيها، فقد استقر فريق منهم في المغرب حيث سمح لهم إدريس الثاني أمير الأدارسة بالإقامة في مدينة فاس التي أسسها والده إدريس الأول، فأقاموا بالحي المعروف بحي الأندلسيين²، وفي هذا الصدد يشير ابن أبي زرع إلى بيوت الأندلسيين الذين استقروا بفاس « وأما أهل الأندلس بقرطبة حيث أوقع بهم الإمام الحكم بن هشام وأجلاهم عن الأندلس إلى العودة فصعدوا إلى مدينة فاس وكانوا

* المغرب تعبيراً اتخذ أبعادا جغرافية مختلفة فكان يدل على الجهة التي تغرب منها الشمس وبعد ذلك أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب العاصمة دمشق بجهة مغرب الشمس والمغرب كلمة تطلق على تلك المساحات الواسعة التي تلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي ولم تكن بلاد المغرب معروفة بهذا الاسم عند الفاتحين المسلمين بل كان معروف باسم إفريقية الذي كان سائدا لدى البيزنطيين. سعيدوني عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/ 1987، ص13؛ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص11.

** الرض كلمة من الناحية اللغوية الحي أو الضاحية وهي الجانب الجنوبي الغربي من قرطبة، خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية، لبنان، 2000، ص118.

¹ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص40.

² خليل إبراهيم عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم، المرجع السابق، ص120.



ثمانية آلاف بيت فتزلوا عدوة الأندلس وشرعوا بها في البناء يمينا وشمالا إلى ناحية الكدان ومصمودة وفوارة وحارة البادية والكنيف إلى الرميثة، وسميت بعدوة الأندلس»¹

أما الهجرة الثانية فهي الهجرة التي حدثت في عهد الدولة المرابطية بسبب التحالف الذي كان بين سكان غرناطة ومالقة وإشبيلية مع سكان إسبانيا في عهد الفونسو² واستندا إلى رواية الونشريسي يقول « أن أعدادهم تزايدت كثيرا لا سيما بعد حادثة تغريبهم في بلاد المغرب وإبعادهم عن الأندلس، بسبب غدرهم بالمسلمين وتحالفهم مع الفرنسوا ملك أرغون حيث يفيد الونشريسي أن جموعا كثيرة من النصارى المعاهدين الذين نقلوا من مدن جنوب الأندلس إلى المغرب في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف المرابطي(500-537هـ) نزلوا بصفة خاصة في مدينة مكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى³ .

ويذكر المراكشي عبد الواحد انه « لما اضطرب امر قرطبة باختلاف بني امية بعد موت محمد بن ابي عامر وابنه رحل منها من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من

الفتنة فنزل أكثرهم مدينة فاس، وقد اتسمت حياة الأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين / والثاني عشر والثالث عشر الميلاديين بالهجرة إلى بلاد المغرب»⁴.

¹ ابن أبي زرع الفاسي، الأتيس المطرب بروض القوطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص47.

¹ عباس نصر الله سيدوني، دولة المرابطين في المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص100.

³ كمال السيد ابو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي العيار المعرب للونشريسي، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1996، ص100.

⁴ جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين 448-668هـ / 1056-1269م دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء، الاسكندرية، 2001، ص161.



وتعتبر فترة حكم الأمير علي بن يوسف شاهدا على الصبغة الأندلسية الشديدة في الدولة المرابطية لأنّ الأندلس في ذلك الوقت لم تؤثر في مراكش من عدة نواحي وإنما قصد مراكش عدد كبير من الأندلسيين ليقيموا في عاصمة الأمير.¹

أما في العهد الموحي فيمكن القول أن الهجرة الأندلسية اتخذت شكلا آخر، حيث أصبحت تتم بشكل رسمي وبترخيص من السلطة الحاكمة، ففي عهد الخليفة الموحي الرشيد² أصدر مرسوم سنة 637هـ / 1238م يقضي بإسكان الجالية الأندلسية الآتية من العديد من مدن الأندلس الشرقية بمدينة رباط الفتح، وسمح لهم بحرق الأراضي وغرس الأشجار وهياً لهم جميع ضروب الحماية والإكرام والاستقرار، ويعتبر أبا المطرف بن عميرة المخزومي الكاتب الخاص للخليفة وهو أندلسي الأصل نموذجاً للجالية الأندلسية وظروف عيشها خلال هذه الفترة.³

هذا فيما يخص بعض الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأقصى أما المغرب الأدنى فهو أيضاً استقبل العديد من المهاجرين، حيث شهدت الدولة الحفصية توافد العديد من الأندلسيين خاصة بعد تدهور الأوضاع السياسية للأندلس، حيث يعود الوجود الأندلسي ببلاد المغرب الأدنى منذ العهد الحمادي* حيث استقبلت بجاية العديد من المهاجرين الأندلسيين بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الحمادية.

¹ عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ / 1038-1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ - 1988م، ص131؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963، ص237.

² عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص475.

³ محمد زروق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال ق16 و17م، ط3، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988، ص-ص35-36.

* تأسست الدولة الحمادية سنة 408هـ/1007م على يد حماد بن بلكين الذي انفصل عن المعز بن باديس وحكم المغرب الأوسط وامتد هذا الحكم من 408-547هـ، بدخول عبد المؤمن بن علي إلى بجاية، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ج6، ص20.



ويشير البكري إلى الوجود الأندلسي بهذه المدينة منذ القرن الرابع الهجري فيقول: «مدينة بجاية أزلية أهلة عامرة بأهل الأندلس»¹.

ونذكر على سبيل المثال ممن التجأ إلى مدينة بجاية معز الدولة بن صمادح حاكم المرية بعد استلاء يوسف بن تاشفين عليها فاستقبله المنصور بن ناصر بن علناس وأقطعته دلس وضواحيها.²

ولكن مع مطلع القرن السابع الهجري كانت أهم هجرة عرفتها الأندلس باتجاه المغرب الأندلسي إثر انهيار الثغور والمدن الواقعة بشرق الأندلس وعلى الخصوص مدينة بلنسية التي سقطت سنة 636هـ / 1238م واشبيلية أيضا سنة 646هـ / 1248م.

وكذلك بعد اتخاذ قرارات الطرد ضد السكان فهاجرت جاليات مهمة من شرق الأندلس إلى غرناطة أولا ومن هناك إلى المغرب وإفريقية بالخصوص، حيث كونوا جاليات متميزة عن غيرها³ ثم هاجرت جالية غرب الأندلس بعد ضياع اشبيلية سنة 646هـ / 1249م، إذ أن معظم الجاليات التي هاجرت إلى بلاد المغرب كانت من الفقهاء والعلماء والأدباء وقد تمت هجرتهم عقب الفتوى التي أصدرها الفقيه الونشريسي* والتي توجب الهجرة قائلا: «إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة»⁴.

¹ أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص 82.
² المقرئ، المصدر السابق، ج 4، ص 517، 520؛ أبي عبد الله محمد بن الأبار، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ج 2، ص 90.

³ محمد الطالبي: "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975، ص 54.

* هو أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي من أهل تلمسان ولد سنة (834هـ / 1428م) متخصص في علوم الشريعة الإسلامية واصل الفقه توفي سنة (914هـ / 1508م) ومن بين مؤلفاته المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب: ينظر، ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 53-54.

⁴ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه محمد حاجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج 2، ص 119.



وبصدور هذه الفتوى تحولت الهجرة المحدودة إلى هجرات جماعية، فنجد من بين الأسر والجاليات التي استقرت في كنف الدولة الحفصية أسرة ابن سيد الناس فاستقرت بتونس وبلغت مبلغا عظيما حيث تقلد أفرادها وظائف مهمة في تسيير شؤون الدولة كالحجاجة في عهد الخليفة أبي فارس وابنه أبي زكريا¹ وعن عوامل وأسباب استقرار الأندلسيين بتونس وفي كنف الدولة الحفصية يرجع إلى العلاقات الودية بين الأسرة الحفصية وأهل الأندلس ذلك أن الأسرة الحفصية التي كان مؤسسها أبو محمد عبد الواحد (604-618هـ / 1207-1221م) أحد أبطال معركة الآراك، وقد استقرت بالأندلس قبل انتقالها إلى إفريقية فكان الحفصيين يميلون لأهل الأندلس ويقدرون مواهبهم لخدمة دولتهم وسياستهم، وكذلك الاستقرار النسبي الذي كانت تتمتع به تونس بالإضافة إلى عامل آخر وهو الانهيار الديمغرافي الذي أصاب تونس منذ منتصف القرن الرابع عشر فكان الوافدون الأندلسيون يجدون مجالا واسعا لاستثمار مواهبهم في قطاعي التجارة والصناعة على الخصوص، بالإضافة إلى الميادين الفكرية والسياسية.²

أما الهجرة إلى بلاد المغرب الأوسط كانت ضعيفة إذا ما قورنت بالمغربين الأقصى والأدنى ولكن بعد استقرار ملك بني زيان بدأ هؤلاء يهاجرون إليها فسكنوا مدنها الساحلية كوهران ومستغانم وتنس والجزائر وهنين، بينما فضلت جماعات أخرى منهم الاستقرار بتلمسان نظرا لمكانتها العمرانية والعلمية والحضارية، وكذلك لنشاطها التجاري في بلاد المغرب الأوسط.³

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص437.

² محمد زروق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص28.

³ حنفي هلالي، المريس كيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17م (رسالة ماجستير) في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة وهران، 1999، 2000م، ص - ص119-120.



إلا أنّ الهجرة الكثيفة لهؤلاء المهاجرين كانت في القرنين الثامن والتاسع الهجريين الذين سقطت فيه دولة بني الأحمر بغرناطة سنة 897هـ / 1492م فتدفقت أعدادا كبيرة من الأندلسيين نحو بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص¹ وذلك بسبب الاضطهاد الصليبي المتمثل في محاكم التفتيش* ،وفي هذا يقول المقرئ « فخرجت الوفا بفاس، وألّوا آخر بتلمسان من وهران»².

استعان بنو زيان بهؤلاء الأندلسيين في تسيير دواليب الدولة ومؤسساتها خاصة الذين كانت لهم خبرة في مجال الإدارة والسياسية والتدريس، وأصدر يغمراسن بن زيان التلمساني (633-681هـ / 1235-1282م) في حقهم المرسوم الذي يضمن حقوقهم في أرض الدولة.³

¹ محمد زروق، المرجع السابق، ص53.

*محاكم التفتيش انشأت سنة1478م حيث تولى توماد توركيمادة منصب المفتش العام كانت تتلق الدعم من البابا إذ شكلت هذه المحاكم أداة كتعذيب وترهيب مسلمي الأندلس خاصة بعد سقوط غرناطة سنة1492م، عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، انترناشيونال برس، القاهرة، 1983، ص107.

²المقرئ، المصدر السابق، ج4، ص228.

³ محمد بوشقيف، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط، (ق8-9هـ / 14-15م)، (أطروحة دكتوراه) في التاريخ الوسيط، إشراف عبدلي لخضر، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2010، 2011، ص30.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية لبلاد الأندلس والمغرب

الأوسط (7-10/13-16)

أولاً: الأوضاع السياسية لبلاد الأندلس

- 1- المرابطين والموحدين
- 2- حروب الإسترداد
- 3- قيام دولة غرناطة

ثانياً: الأوضاع السياسية لبلاد المغرب الأوسط

- 1- دولة بني عبد الواد
- 2- التدخل المريني
- 3- التدخل الحفصي والدخول الإسباني



أولاً: الأوضاع السياسية للأندلس:

1- المرابطين والموحدون:

بعدما تمزقت وحدت الأندلس إلى دويلات وتبعها انهيار قوة الإسلام، الأمر الذي يسر على الدول النصرانية مهمة السيطرة على هذه الدويلات واخضاعها الواحدة تلو الأخرى، في نفس الوقت الذي انصرف ملوك الطوائف* إلى الترف واللهو، فقد كان من الضروري في تلك الظروف العصبية أن تتخذ القوى الإسلامية في الأندلس لمواجهة الخطر النصراني¹ لذلك استنجد ابن عباد بالمرابطين**، وتلبية لطلب المعتمد بن عباد عبر يوسف بن تاشفين بقواته إلى الأندلس في شهر ربيع الأول سنة 479هـ/1086م استجابة لملوك الطوائف² بدافع الحماس الديني والأطماع السياسية³ والتقى بن تاشفين بجيش المعتمد بن عباد وابن الأفطس ابن واجهت جيوش الفونسو ملك الجلالقة في معركة الزلاقة من نواحي بطليموس أين كان النصر للمسلمين سنة 481هـ/1088م وهذا حسب ابن خلدون، لكن ابن ابي زرع يقول أنها وقعت سنة 479هـ/1086م، وكذلك صاحب الحلل الموشية بينما المراكشي

*بعد زوال الخلافة العربية بالأندلس وانقسمت إلى طوائف فظهر بني عباد ملوك إشبيلية وابن جهور بقرطبة وابن الأفطس صاحب بطليموس من غرب الأندلس وبني ذي النون ملوك طليطلة وابن أبي عامر في شرق الأندلس بلنسية وباديس بن حسون ملك غرناطة والبيرة أو بني زيري وبني هود ملوك سرقسطة/ينظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص200.
¹ حمدي عبد المنعم محمد حسن، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997، ص51.

**تتسب هذه الدولة إلى قبيلة صنهاجة للمتونة تأسست بزعامه الفقيه عبد الله بن ياسين سنة 434هـ/1042م، الذي انطلق من رباطه في نهر السنغال وقاد حركة الجهاد والدعوة في فروع صنهاجة لما كانت عليه من خروج عن تعاليم الاسلام ولقد عرفت أيضا بدولة الملتمون وتم توطيد أركان هذه الدولة على يد يوسف بن تاشفين فوسع سلطانه وبسط نفوذه على بلاد المغرب وأسس العاصمة مراكش وذلك سنة 645هـ/1062م/ ينظر، الناصري السلاوي، الاستقساء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص7-8؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرقية، القاهرة، 1984، ص256؛ يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر، محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الحانجي، القاهرة، 1996، ص68.
² محمد لسان الدين بن الخطيب، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تص، البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الاسلامي، تونس، د.ت، ص28-30؛ محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام بالأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق1، مكتبة الحانجي، ط2، القاهرة، 1990، ص45.

³ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص256.



يقول أنها سنة 478هـ/1086م والأرجح أنها وقعت سنة 479هـ/1086 حسب أغلب المصادر.¹

وبعد فترة خلع يوسف بن تاشفين ملوك الطوائف بعد أن تبث تخاذلهم وتواطؤ بعضهم مع الأعداء وبذلك أصبح المغرب والأندلس يكونان دولة واحدة عاصمتها مراكش وذلك سنة 483هـ/1090م²، وبعدما توفي يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1106م تولى من بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين فكان خير ملك وذلك سنة 500هـ/1106م وفي هذه الفترة استقل أمر الموحيين.³

قامت الدولة الموحدية على أكتاف قبيلة مصمودة البربرية التي بايعت ابن تومرت سنة 515هـ/1121م**، ولما توفي ابن تومرت بعد أن أسس الأمور وأحكم التدبير فقام بالأمر بعده عبد المؤمن بن علي الذي بايعه المصامدة سنة 524هـ/1129م ، واعتبر هذا الأخير المؤسس الحقيقي لدولة الموحيين في المغرب والأندلس،⁴ وفي هذا الصدد أشار المقري إلى ذلك التواجد الموحي بقوله : « وهبت ريح الموحيين اعني عبد المؤمن بن علي وبنيه ، فحاربوا لمتونة ، واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ، ثم اجازوا البحر الى الأندلس وملكوا اكثر بلاد الأندلس »⁵، ومعنى ذلك ان الأندلس كان ملكها

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص248؛ ابن ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص149؛ ابن الخطيب، الحلل الموسية، ص29؛ المراكشي، المصدر السابق، ص190.

² أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجماد في الأندلس، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000، ص103؛ حسين مؤنس، الثغر لأعلى الأندلس في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة، (د م) 1992 ، ص7-8.

³ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، صص251-252.

^{**} ابن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء ابن رياح بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ولد بضيعة تعرف بإيجلي آن وارغن من قبيلة هرغة سنة 485هـ، 1093م؛ رحل إلى المشرق سنة 501هـ/1106م ثم عاد إلى المغرب أمر بالمعروف ناه عن المنكر، ينظر: ابن عبد الله ابراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضي ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص3.

⁴ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص225.

⁵ المقري، لمصدر السابق، ج1، ص442.



مجموعاً للمتونة (المرابطون) بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل المرابطون في العودة بحرب الموحدين اضطربت عليهم الأندلس.

ولما استتجد أهل الأندلس بالموحدين وليبت دعوتهم تمكن الموحدون من أن يحافظوا على الأندلس لفترة من الزمن، خاصة وأن النصارى تكالبوا على الأندلس¹.

ولما استقام الأمر بالأندلس في ظل الحكم الموحي خلف عبد المؤمن بن علي ابنه يوسف² وبعدها ابنه يعقوب المنصور إذ تمكن هذا الأخير من الانتصار على النصارى في غزوة الأراك والحق بهم نكايه كبيرة وذلك سنة 591هـ/1194م التي شبّهت بواقعة الزلاقة³.

ولكن سرعان ما بدأ الضعف يدب في الدولة الموحدية وذلك مع مطلع القرن 7هـ/13م بسبب ثورة بني غانية المرابطين حكام* جزر البليار، الذين ثاروا ضد الموحدين وعلنوا عودة حكم المرابطين والدعاء لبني العباس فاستنزفوا قوة الجيش الموحي ومما زاد أيضاً ضعف واضمحلال الدولة الموحدية هو الهزيمة التي منيت بها في موقعة (حصن) العقاب سنة 609هـ/1212⁴.

ومن الطبيعي أن يكون ضعف الموحدين بعد هذه الهزيمة -هزيمة العقاب-⁵ باعثاً رئيسياً في طموح عدد من الولاة باستئثارهم للحكم في المناطق التي كانوا يتولونها وللانفصال عن السلطة الشرعية⁶، فظهرت بذلك الدولة المرينية التي كانت سبباً مباشراً في سقوط الدولة

¹ عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 104 .

² محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 32.

³ المقرئ، المصدر السابق، ص 443؛ المراكشي، المصدر السابق، ص 358.

*هما يحي ومحمد بن علي من قبيلة مونجة يعرفان ببني غانية نسبة إلى أمهما تولى يحي مدينة بلنسية ثم قرطبة أما أخوه محمد فقد تولى بعض أعمال قرطبة كان يدعو للخليفة العباسي...، ينظر: المراكشي، المصدر السابق، ص 397.

⁴ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 174، 166.

⁵ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراتها في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الاسلام إلى العصر الحاضر (ق14هـ/20) من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين ، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، مج2، 1978، ص13.

⁶ الهادي عبد التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد بني مرين والوطاسيين، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، 1988، ص8.



الدولة الموحدية في المغرب سنة 668هـ/1269م¹ فتقوت شيئاً فشيئاً في المغرب الأقصى ، وفي المغرب الأوسط استطاع بنو زيان أن يكونوا إمارة مستقلة ، أما في المغرب الأدنى فقد ظهرت الدولة الحفصية 625هـ/1228م²، أما في الأندلس فقد آل الحكم إلى أسرة بني الأحمر التي انحصر ملكها في غرناطة.

2- حروب الاسترداد:

إن الحديث عن حروب الاسترداد أو حركة المقاومة النصرانية يرجع إلى القرون الأولى من الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية، إذ فتحت هذه الجزيرة بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير لكنها لم تفتح كلها، ولم تتابع الفلول المنهزمة أمامهم من بقايا الجيش القوطي التي فرت وتقهقره نحو الشمال لتحمي نفسها من الجيوش الإسلامية المطفرة³، إذ أن الجماعة الصغيرة التي فرت من المسلمين لم تقبل الخضوع للحكم الإسلامي، والتزمت الصمت وبدأ تنظيمها السري بعيداً عن رقابة النظام وبعيداً عن طريق الجيوش الإسلامية مما ساعد على نموها وقد ظهر خطرها أيام ضعف المسلمين وخلافاتهم الداخلية، وازداد تطورها وقوتها حتى تشكلت منها وحولها الإمارات المسيحية القوية بالشمال⁴ وقد بدأت حركة المقاومة هذه فعلاً في أواخر أيام بلاي أو بلاجيوس، ونشطت على أيام الفونسو ومع بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي زاد في قوة هذه الإمارات ظهور الحركات القومية المتعصبة التي كان يقودها رجال الدين المتعصبين الذين تحالفوا فيما بعد مع الممالك المسيحية التي ظهرت فيما بعد والتي رفعت شعاراً استرداد الأراضي الإسبانية من

¹ عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، 1983، ص113؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص277.

² محمد المروسي المطوي، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص ص96،99.

³ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط2، دار القلم، بيروت، 1981، ص268.

⁴ علي حسن الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص86؛ عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص269.



أيدي المسلمين¹ في وقت ضعف فيه المسلمين والغيت الدولة الأموية، وأضحت الأندلس فرق ممزقة وطوائف متنازعة متقاتلة، ونتيجة لضعف ملوك الطوائف استغل النصارى هذا الوضع من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين في الأندلس، إذ كان في ذلك الوقت على عرش النصارى الفونسو السادس حيث اعتلى عرش قشتالة وليون سنة 466هـ/1072م، وقاد حروب الاسترداد ضد المسلمين حيث استغل منافسة ملوك الطوائف وقاد هجمات انهكت قوى ملوك الطوائف وأضعفت قواهم، فنتج عنها سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م التي كانت سلطتها في يدي بني ذي النون² ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الأندلس يشمل إلا ثلث شبه الجزيرة فقط.³

ومع بداية القرن السادس الهجري الثاني ميلادي زادت حدة حروب الاسترداد فوجهت موجة اجتاحت شرق الأندلس حيث انتزع النصارى سرقسطة سنة 512هـ/1118م، من عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستعين بن هود، ثم سقطت بعد ذلك عدة قواعد منها إفراغة سنة 539هـ/1143م، ومكناسة سنة 527هـ/1133م، وطرطوشة سنة 544هـ/1148م ولاردة سنة 545هـ/1149م.⁴

كما سقطت في شبه الجزيرة الأيبيرية مدن خاصة في البرتغال منها لشبونة سنة 542هـ/1147م ثم مدينة شنترين 546هـ/1150م، وغيرها من المدن الأندلسية.⁵

¹ حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الأموية 711-756م، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002، ص361؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص73؛ علي حسن الشطشاط، المرجع السابق، ص87؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936، ج2، ص58.

² المقري، المصدر السابق، ج4، ص447؛ راغب السرجاني، قصة الأندلس، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والتوزيع، القاهرة، 2010، ج2، ص447.

³ عبد الحكيم الذنون، آفاق غرطة، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص28.

⁴ محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، السويس، 1996، ص65؛ حسين مؤنس، الثغر الأعلى، المرجع السابق، ص29.

⁵ عبد الرحمن علي الجحي، المرجع السابق، ص460.



وبهذا أصبح الأندلس لا يشمل سوى ربع شبه الجزيرة الإيبيرية¹ ومع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي تواصلت حروب الاسترداد خاصة بعد انهزام الموحيدين في حصن العقاب، حيث تحالفت الممالك الشمالية(نافارا، ارغون، قشتالة)، وبهذا الاتحاد تمكنت الممالك النصرانية من الحاق الهزيمة بالموحيدين بقيادة الخليفة الناصر في موقعة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م.²

وإثر ضعف الموحيدين نتيجة هذه الهزيمة ظهرت أسر أخذت ما بقي للمسلمين من الأراضي الأندلسية فظهر بنو هود في مرسية سنة 625هـ/1228م وسيطرو على معظم الأندلس، وكذلك ظهر بن مردنيش في شرق الأندلس في بلنسية سنة 626هـ/1229م، وبهذا زالت هيبة الموحيدين واشتدت هجمات النصارى على الأندلس فسقطت قرطبة سنة 633هـ/1236م، وبلنسية سنة 636هـ/1239م، ومرسية سنة 644هـ/1246م، واشبيلية 646هـ/1248م.³

كما أن غرب الأندلس لم يسلم من خطر موجة الاسترداد النصراني حيث سقطت بطليموس سنة 647هـ/1248م، شذونة وشلوقة وغليانة وتلتها قانس سنة 648هـ/1249م وشريش سنة 649هـ/1250م وغيرها من المدن والحواضر الأندلسية،⁴ وبهذا بسط النصارى سلطانهم على سائر الأراضي الإسلامية في غرب الأندلس وانكشفت رقعة الدولة الإسلامية بسرعة مروعة⁵، وأثر سقوط هذه الحواضر الأندلسية الكبرى قام الشعراء بتنظيم قصائد* رثاء للأندلس ومنها قصيدة أبي البقاء صالح بن شريف الرندي، للاطلاع على هذه القصيدة ينظر الى الملحق رقم (01).

¹ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 29.

² علي محمد محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، دولة الموحيدين، دار البيارق، عمان، 198، ج5، ص 210.

³ علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 231.

⁴ سحر السيد عبد العزيز سالم، مدينة قانس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1990، ص 116-118.

⁵ علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 238.



ونتيجة لهذه الهجرة المحنة التي حلت بالأندلس والأوضاع التي كانت دفع بكثير من سكانها إلى الهجرة فكانت الأولى نحو المدن الداخلية الباقية في الأندلس وهي مملكة غرناطة التي كانت آخر ما بقي للمسلمين بهذه الجزيرة¹ وبعدها ارهق كامل سكان الأندلس بالطرائب وازدياد اضطراب في الأوضاع السياسية والصراعات حمل ما بقي من السكان الى الهجرة هذه المرة خارج الأندلس متجهة الى المناطق الساحلية في غربي بلاد المغرب ووسطها، وبدا ازدياد الهجرة الأندلسية إلى شمالي إفريقيا بازدياد تفكك اسبانيا الإسلامية فيما بعد خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.²

3- بنو الأحمر وقيام مملكة غرناطة:

تأسست مملكة غرناطة عندما أخذت سلطة الموحدين تتراجع في الأندلس حينها ظهرت شخصيتان قويتان هما بنو مردانيش* في بلنسية وبنو هود** في مرسية، وقد انتهز بنو هود فرصة الاضطراب في الأندلس للسيطرة على شرق الأندلس في نفس ذلك الوقت ظهر بنو الأحمر***.

¹ شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، ط2، مطبعة المنار، مصر، 1924، ص72؛ راغب السرجاني، المرجع السابق، ص637

² ج-س، كولان، الأندلس، تر: ابراهيم حور رشيد، عبد المجيد يونس، عيسى عثمان، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، 1980، ص، ص141-142،



واجتهد مؤسس الأسرة في شرق شبه جزيرة إيبيريا¹ حيث تسلم إمارة مدينة أرخونة في رمضان 629هـ/1232م ثم دخلت مدينتا وادي آش وجيان في طاعته 633هـ/1233م، ولما قتل ابن هود في المرية دبت الفوضى في المدينة مما سهل دخول بنو الأحمر لغرناطة وذلك سنة 635هـ/1238م، أما مالقة فقد أعلنت ولاءها لبني الأحمر في السنة التالية، وارتسمت حدود مملكة بني الأحمر فيما وراء نهر الوادي الكبير، وكانت مملكة غرناطة تمتد من جيان وبياسة حتى البحر وشرقا حتى المرية وغربا حتى مصب الوادي الكبير²، وتشمل مملكة غرناطة على عدة كوار أو ولايات وهي: غرناطة، ومالقة، والمرية، وأجزاء من جيان ورندة.³

وخلال فترة حكم محمد بن يوسف بن نصر الملقب بالغالب بالله شهدت غرناطة أحداث عديدة منها حصار القشتاليين لمدينة جيان سنة 643هـ/1246م،⁴ بقيادة فرديناندو الثالث وعندما اشتد الحصار قرر ابن الأحمر أن يعقد صلحا مع ملك قشتالة وجاء في هذا الصلح عدة بنود منها:

¹ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1974، مج2، ص92.
*قامت هذه الاسرة بشرق الأندلس فحاضت ثورة ضد الموحدين واستقرت الأمور في أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مرنديش إلى أن هلك سنة 582هـ، وبعد هزيمة الموحدين واسترجعوا نفوذهم في شرق الأندلس بزعامة أبي جميل زيان الذي دخل بلنسية سنة 626هـ ودعي للعباسيين ببغداد/ ينظر: ابن الخطيب، أعمال الاعمال في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح ، ليفي بروفانسال، ط2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 ، ص - ص270،272.
**مبدأ هذا البيت سليمان بن محمد بن هود الجدامي الملقب بالمنتهمين، تغلب على مدينة لاردة وقتل قائدها أبا المطرق التجيبي في خبر الطويل، واستولى على مدينتين لاردة ومنتون وأنصارها في عظة محرم من سنة 431هـ، فذاع أمره توفي سنة 438هـ، ينظر: ابن الخطيب، اعلام الاعلام، المصدر السابق، ص170-171.
***محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس ابن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سليمان ابن حارثة بن ثعلبة بن ظريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ابن عمر بن يعرب بن يشحن بن قحطان بن هميسع بن يمن بن ثبت بن اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليه وعلى محمد الكريم، يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله، ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح : محمد عبد الله عنان، ط1 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974، مج 2، ص92.
حسين مؤنس ،موسوعة تاريخ الاندلس ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة1974،مج2،ص92.
² يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1 ، دار الجيل، بيروت ، 1993، ص20.
³ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، 230.
⁴ ابن الخطيب، الاحاطة، المصدر السابق، ج2، ص99.



1- أن يتوقف القتال لمدة عشرين سنة وأن يتخلى ابن الأحمر عن مدينتي أرخونة وجيان والحصون المجاورة.

2- أن يخضع لسلطان ملك قشتالة ويؤدي له مائة وخمسين ألف ذهبية.

3- تزويد جيش فرديناند بعدد من الجنود في حال أي حرب مع أعدائه، ولم يمض وقت طويل حتى دعا ابن الأحمر ليؤدي واجبه القتالي أثناء حصاره أشبيلية وذلك سنة 646هـ/1248م¹، كما أعلن أمير مرسية خروجه عن طاعة القشتاليين ومبايعة ابن الأحمر مما اضطر الفونسو العاشر إلى الاستجداد بملك أرغوان خايمي الأول الذي سيطر على مرسية سنة 665هـ/1266م، إضافة إلى أن اقرباءه بني اشقيلونة ثاروا في مالقة ووادي اش بسبب ان ابن الأحمر جعل مشيخة الغزاة (قيادة الجيش) لبني مرين فظهر العصيان في مالقة ووادي آش وذلك سنة 665هـ/1267م².

لقد قدر للعرب أن يستمروا في غرناطة قرنين ونصف قرن 635هـ- 897هـ/1238م-1492م تولى حكمها ما يزيد عن عشرين حاكما (حول حكام غرناطة ينظر الى الملحق رقم (02) ،³ حيث تميز عصر الحكام الأوائل بالاستقرار وتنظيم مملكة غرناطة، ولكن الحكام الأواخر هم الذين اضطرت بهم الأرض ودخلت معهم المملكة في دوامة الفوضى وآخر الاضطرابات الذي انقسمت على اثره مملكة غرناطة إلى قسمين هو الصراع بين أبي عبد الله الزغل 890هـ-892هـ/1485م-1487م، وأبي عبد الله الصغير (782-897هـ/1487-1491م)، الذي كان أسيرا عند فرديناندو ملك قشتالة وعندما أطلق سراحه انتقل إلى العاصمة وجمع حوله الأنصار ودخلت المدينة في حرب أهلية انتهت بانتصار أبي عبد الله الصغير سنة 892هـ/1487م، وكان الزغل قد قاد قسما من رجاله إلى مالقة للدفاع عنها بعدما بلغه ان فرديناندو قد حول إليها ثم انتقل الزغل إلى

¹ يوسف شكري، المرجع السابق، ص21؛ واشنطن ايرقنيغ، أخبار سقوط غرناطة، تر: هلائي يحي نصري، ط1، الانتشار العربي، لندن ، 2000، ص22.

² يوسف شكري، المرجع السابق، ص24.

³ عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص299؛ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص197-198.



وادي إيش فانقسمت المملكة إلى شطرين¹ وبسبب الضعف الداخلي انتهى حكم النصيريين وتعاضمت قوة النصارى معا فهذه القوة ازدادت كثيرا بفضل اتحاد مملكتي أرغون وقشتالة إثر زواج فرديناندو وإيزابيلا، إذ اعتلت إيزابيلا عرش قشتالة، واعتلى فرديناندو عرش أرغون، وقبل ذلك أظهر سقوط جبل طارق في سنة 867هـ/1462م، أن قوة النصارى كانت في ازدياد.²

وحيثما انتزع المسلمون حصن الصخرة 1481م، من أيدي النصارى فحمل هذا العمل فرديناندو وإيزابيلا على توطيد العزم على وضع نهاية لوجود غرناطة.³

ثاني: الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط.

1- دولة بني عبد الواد: 633-962هـ/1235-1554م

ينسب بنو عبد الواد إلى قبيلة زناتة البربرية، وهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد⁴ ويمتد نسبهم إلى مادغيس الأبترا ابن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.⁵

وعرف بنو عبد الواد "بالدولة الزيانية" أو بنو زيان نسبة إلى زيان بن يوسف بن محمد بن ثابت بن نيدركش ابن طاع الله بن علي بن القاسم بن عبد الوادي،⁶ ويجتمع نسبهم مع بني مرين، وهم خمس نفر "بطون" وهو بنو ياتكين، وبنو وللو وبنو تومرت، ومصموحة،

¹ مصطفى شاکر ، المرجع السابق، ص131.

² يوسف شكري، المرجع السابق، ص51؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، طبه الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، ص21.

³ مونتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، تر: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1998، ص159.

⁴ ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص97.

⁵ ابي زكريا يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة، بيرقونطان الشرقية، الجزائر، 1903، ج1، ص-95؛ علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972، ص15.

⁶ علي النسوسي الخطابي الحسن الإدريسي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب، مصر، 1349هـ، ص- ص 110-109.



وبنو ورمصطف، وبنو القاسم،¹ وبهذا الأخير يرفعون نسبهم (بنو عبد الواد) إلى الأدارسة العلويين وينفي نسبهم البربري، لكن ابن خلدون ينفي ذلك النسب الشريف حيث يقول: « وقد قال يغمراسن بن زيان: " إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا »².

استوطنوا بنو زيان في نواحي المغرب الأوسط، (في ناحية تلمسان)، كما كانوا يجوبون الصحراء الواقعة بين سجلماسة غربا ومنطقة الزاب بإفريقية شرقا وجبل مصاب،³ هذا ولم يعرف المجال الجغرافي لدولة الزيانية ثبوتا نتيجة لوجود صراعات وحروب متواصلة تارة مع المرينيين في الغرب ومع الحفصيين في الشرق ولهذا بقيت حدودها في مد وجر بسبب هذه الحروب، فكانت أحيانا تمتد من حصن تاويرت غربا إلى تخوم بجاية شرقا وفي بعض الأحيان تتقلص حدوده فلا تشمل إلى تلمسان وضواحيها.⁴

هذا فيما يخص قيام الدولة الزيانية ومجالها الجغرافي أما فيها يخص أوضاعها السياسية فلقد كان من نتائج انهزام الموحدين في حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، وسقوطها فيما بعد في الأندلس والشمال الإفريقي وبدأت أحوال الخلفاء في المغرب تضطرب والولايات تستقل، فظهرت الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، والدولة المرينية في المغرب الأقصى بينما استقلت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط⁵ حيث تأسست هذه الأخيرة على يد يدي يغمراسن بنو زيان * حيث تمكن من ارساء امارة كبيرة قامت في تاريخ المغرب بدور كبير واستطاع أن يوسع لبني زيان مكان فسيحا في تاريخ المغرب باستلائه على تلمسان وتحصينه إياها، وبعث في كيان أسرته روح الثبات والمقاومة، وعرف كيف يؤمن دولته

¹ يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص95؛ علي السنوسي، المصدر نفسه، ص109.

² ابن خلدون(عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج7، ص95.

³ يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص96.

⁴ ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص-

ص13-14.

⁵ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ج5، ص235.

* هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد مؤسس الدولة الزيانية حكم ما بين 633-681هـ/1235-1282م...، ينظر، ابن

الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316، ص72.



ويحميها من بني حفص تارة ومن المرينيين تارة أخرى فقد حروب من أجل القضاء عليها وضمها إلى بلادهم.¹

لقد تميز الوضع السياسي في المغرب الأوسط بتواصل التدخلات المرينية والحفصية في شؤون الدولة الزيانية من أجل التخلص منها، كما تميز هذا الوضع بضعف أصاب كل بلاد المغرب الإسلامي مما مهد في ازدياد حركة التحرشات الإسبانية والبرتغالية من أجل القضاء على العالم الإسلامي.²

2- التدخل المريني:

كانت أول الأخطار التي واجهتها الدولة الزيانية هي محاصرة تلمسان سنة 640هـ/1242م، من طرف الحفصيين بسبب تخوفهم من علاقة الود والصدقة التي كانت بين الزيانيين والموحدين، فاستشعر الأمير الحفصي أبو زكريا بمؤامرة دبرتها صد مملكته بسبب هذه الصداقة، فقام وحاصر تلمسان فوقعت الهدنة والمفاوضة على عقد الصلح بانتداب والدة يغمراسن - سوط النساء - فشتت الحفصيون أن يدعو لهم على منابر الجمعة، وأن يدفعوا لهم مبلغ مالي لخزينة الدولة الحفصية سنويا، فرضي يغمراسن بذلك.³

وبعد أن عقد هذا الصلح بين الدولة الزيانية والدولة الحفصية أثار هذا أحقاد وسخائم في صدور رؤساء الدولة الموحدية، فخشيت من اتحادهما والتآمر ضدها فتحرك الأمير الموحدي ابي الحسن السعيد إلى تلمسان سنة 646هـ/1247م، فوقعت المعركة بينهم في قلعة تامرزوكت جنوب وجدة فهزم فيها الموحدين.⁴

¹ ابن الأحمر، المرجع السابق، ص-ص 24-32.

² عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، درار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص47.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص108؛ عبد الرحمان بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1385هـ/1965م، ج2، ص133؛ رويار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص60.

⁴ ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، المصدر السابق، ج4، ص-ص 385-386؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص113-114؛ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص-ص 109-110.



وكما قام الحفصيين والموحدين بفرض سيطرتهم على الدولة الزيانية أيضا لم تسلم من هجمات بني مرين الذين رغبوا في ضم تلمسان إلى نطاق ملكهم، ولقد كان وقوف بني عبد الواد إلى جانب الموحدين ضد المرينيين عامل لفرض سيطرتهم على تلمسان فلقد وقف يغمراسن بن زيان إلى جانب أبو دبوس الموحدي خلال حصار السلطان يعقوب لمراكش 665هـ/1267م،¹ هذا ماكرس العداء بين المرينيين والزيانيين ، مما دفع بالسلطان يعقوب المريني لغزو مدينة تلمسان وذلك سنة 666هـ/1267م، والتقى الجمعان بوادي تلاغ فنهزم يغمراسن بن زيان وفر من المعركة وقتل عمر اكبر ولده وولي عهده،² وتكررت الهزائم العديدة لبني عبد الواد ففي سنة 670هـ/1271م غز السلطان يعقوب تلمسان بسبب رفض الأمير يغمراسن بن زيان الصلح مع بني مرين وقرر أن ينتقم لقتل ولده، فلتقا الجمعان بوادي اسلي على مقربة من مدينة وجدة، فمني بنو عبد الواد بالهزيمة وفر يغمراسن منهزما جريحا وقتل ولده فارس.³

لقد توالى الحملات المرينية على الدولة الزيانية بصفة متكررة ولكن أكثر هذه الحملات كانت سنة 698هـ/1299م التي دام الحصار فيها على مدينة تلمسان ثماني سنوات حيث بعث الأمير أبو زكريا الحفصي المدد من جيوشه إلى عثمان بن يغمراسن والتقا الجيش المريني بقيادة يوسف بن مع الجيش الزياني بجبل الزاب وكانت الهزيمة على الجيش الزياني وعرفت المعركة بمرسى الرؤوس لكثرة ماتساقط خلالها من رؤوس العباد بسبب مدة طول الحصار 698-706هـ/1299-1307م، حيث ذاق أهل تلمسان أقسى الآلام والمحن.⁴

¹ ابن الأحمر، المرجع السابق، ص- ص17- 19.

² ابن ابي زرع الفاسي، الذخيرة، المصدر السابق، ص116.

³ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص- ص310-311؛ نصال مؤيد مال الله عزيز الاعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (رسالة ماجستير) في التاريخ الاسلامي، إشراف عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل، بغداد، 1425هـ/2004م، ص22.

⁴ يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120؛ ابن خلدون (عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج7 ص128.



وبسبب مقتل أبي يعقوب يوسف المريني على يد أحد العبيد سنة 706هـ/1199م، رفع الحصار عن الدولة الزيانية وعادت الحياة لدولة بني زيان وبدأ الاستقرار مع تولي السلطان ابي تاشفين الأول 718-737هـ/1318-1337.¹

إذ عقد السلم الأول دولته مع السلطان أبي سعيد المريني 710-731هـ/1309-1330م، لكن هذا السلم والاستقرار لم يدم طويلا، وبوفاة السلطان أبو سعيد المريني 731هـ/1330م نهض السلطان أبو الحسن على رأس الدولة المرينية وما إن تولى الحكم حتى قام بحصار تلمسان سنة 737هـ/1337م ابن قتل أبو تاشفين وأبناءه عثمان ومسعود، واستولى بذلك أبو الحسن على تلمسان بعدما حاصرها ثلاث سنوات 735-737هـ/1335-1337م، فأصبح بذلك أبو الحسن سلطان العدوتين (المغرب الأوسط والمغرب الأقصى)، فانقرص ملك آل يغمراس.²

وما إن توفي ابي الحسن خلفه ابنه عنان 753-759هـ/1353-1359 فوجه حملة على تلمسان سنة 753هـ/1353م، إذ كانت تلمسان في ذلك الوقت على يد السلطانيين ابي سعيد وأبي ثابت ابن عبد الرحمان بن أبي يحيى يغمراس فلتقى أبي عنان مع أبي سعيد وابن ثابت بوادي القصب أين انهزما بنو عبد الواد ملوك تلمسان وانقصى ملكهم مرة أخرى على يد أبي عنان وبذلك فرغ من شأن المغرب الوسط.³

وبهذا يمكن القول أن القرن 8هـ/14م تميز بالتدخلات المرينية في شؤون الدولة الزيانية، لكن سرعان ما أخذ مركز بني مرين وقوتها بتضعف، وذلك بعد وفاة السلطان أبي عنان فبدأ الضعف يدب في الدولة بسبب المنافسات بين أفراد الأسرة على الحكم* وفي مقابل ذلك تم احياء وتجديد دولة بني عبد الواد على يد السلطان أبي حمو موسى

¹الناصرى السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص.85

²ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج7، ص-ص146-148؛ الناصرى السلاوي، المصدر السابق، ص-ص125-126.

³يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 160.

*بعد وفاة ابي عنان خلفه الصبي ابي السعيد بالله وعندما سمع ابو سالم اخا ابي عنان كان مقيما بالاندلس بعثه ابو عنان، لم يرق له الامر فرجع الى فاس ودعا اهل المغرب لمبايعته سنة 760-762هـ/1359-1361م...، ينظر: السلاوي، الاستقصا، ج4، ص7



الثاني 760-791هـ / 1359-1389م وأطلق عليها لقب الدولة الزيانية بدل دولة بني عبد الواد، فاستعادت الدولة يومئذ مجدها المفقود.¹

وعندما آل الحكم لسلطان المريني أبي سالم* أراد أن يكمل ما قام به أبيه وأخيه فنهض إلى تلمسان من أجل دخولها فتصد له أبو حمو موسى والتقا في المكان المعروف بوطاط وتقا الطرفان على المهادنة وذلك سنة 761هـ/1360م،² لكن بني مرين لم يرق لها الأمر فعملت على إيجاد مسلك من أجل إبقاء سيطرتها على الدولة الزيانية وذلك ببث بذور الشقاق والنزاع بين رؤساء الدولة الزيانية وبالغت في التدخل في شؤون المملكة حتى كادت أن تحول بين المرء وقلبه، وسعت في فصل ولي عهد المملكة أبي تاشفين عن والده السلطان أبي حمو الثاني ف وقعت بينهم معركة في ناحية الحيران بجبل ورنيد المطل على تلمسان سنة 791هـ/1389م،³ ونتيجة لوكبة فرس أبو حمو سقط أبو حمو الثاني صريعا على الأرض فقتله جنود بني مرين الذين كانوا مع أبي تاشفين، فدخل هذا الأخير تلمسان في نفس السنة واستمر في خضوعه لبني مرين ويخطب باسمهم على منابرة ويدفع لهم بالضريبة كل سنة⁴ وما كاد يستقل أبو تاشفين بالأمر حتى نازعه أخوه أبو زيان حاكم مدينة الجزائر⁵ الذي حاول الهجوم على تلمسان والأخذ بثأر لأبيه لكن محاولاته الأولى لم يفلح فيها و باءت بالفشل، ما دفع به إلى الاستجداد بالمرنيين الذين تغيروا على أبي تاشفين بسبب بعض النزاعات فاستجابوا لأبي زيان وجهزوه بالعساكر لملك تلمسان وذلك سنة 795هـ/1393م،⁶ وإذا به في تازي بلغه خبر بوفاة أبو تاشفين فقام وزيره أحمد بن العز بتولية صبي من أبناء

¹ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص172.

*أبي سالم المريني ابراهيم بن علي بن عنان بن يعقوب المريني السلطان المستعين بالله من ملوك بني مرين في المغرب الأقصى من بني عبد الحق، كان بعد مهلك والده السلطان أبي الحسن قد استقر بالأندلس ينظر: الاستقصا، ج4، ص7؛ ابن الأحمر، المرجع السابق، ص78.

² ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر، ج7، ص167؛ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص18.

³ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص179.

⁴ ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر، ج7، ص- ص195-196.

⁵ يحي بوعزيز "المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية"، مجلة الاصاله، العدد16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ورقلة، 1975، ص21.

⁶ ابن الأحمر، المرجع السابق، ص83.



تاشفين وقدم نفسه كوصي على العرش، وكان يوسف بن أبي حمو وهو ابن الزابيه واليا على الجزائر من قبل أبي تاشفين، فلما بلغه الخبر سارع فدخل تلمسان وقتل أحمد بن العز والصبين فملك تلمسان مدة سنة وقتله ابي زيان بساعدة المرينيين وبهذا عاد أبو زيان إلى تلمسان واستقامت أمور دولته¹، ولكنه بقي في ولائه لبني مرين وستر كذلك بقية من تولى أمور الدولة الزيانية من بعده إلى غاية وصول أبو مالك عبد الواحد ابن السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي دخل تلمسان سنة 814هـ/1411م ووضع حدا للنفوذ المريني فيها وتوسع غربا، واستولى على عاصمة المرينيين "فاس"، وبهذا أعاد قوة الدولة الزيانية وبسط نفوذها على المغرب الأوسط.²

3- التدخل الحفصي والدخول الإسباني:

ونتيجة لهذه التوسعات سوف يحرك أبو مالك عبد الواحد الزياني خطرا من الجهة الشرقية هو خطر الحفصيين.

كانت الدولة الحفصية في ذلك الوقت تحت لواء السلطان أبي فارس عبد العزيز (796-837هـ/1395-1434م)، فلقد تهيأ أبو مالك الزياني في استرجاع كل ما كان بيد الحفصيين من البلاد في الجهة الشرقية هذا ما دفع السلطان الحفصي أبو فارس بتوجيه حملة عسكرية على مدينة تلمسان سنة 827هـ/1424م³ فدخلها بعد أن هزم ولد السلطان عبد الواحد وفر هاربا مع أبيه إلى الجبال، فستقر أبو فارس مدة فيها ثم نظر من يقلده أمرها فختار لها الأمير محمد ابن السلطان ابي تاشفين "ابن الحمرة" شرط أن يدعو لهم في الخطبة، ورجعا أبو فارس إلى تونس فوصلته بيعة فاس وصاحب الأندلس وبهذا صارت البلاد الافريقية والمغرب الأقصى والأوسط كلها تحت ملكه.⁴

¹ ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر، ج7، ص198.

² عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص188.

³ أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماخ، الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح ، الطاهر بن محمد المعموري، الدار الغربية للكتاب، تونس، 1984، ص- ص112-116.

⁴ الزركشي، المصدر السابق، ص126.



عندما فر عبد الواحد من الحفصيين لجأ إلى المرينيين فلم يساعده، عند إذن طلب من السلطان أبي فارس الحفصي مساعدته لاسترداد ملكه فاستجابا له، الآن أبو عبد الله محمد ألغى ذكر اسم السلطان الحفصي من منابر خطبة الجمعة فارسل حملة بقيادة " جاء الخير " حاكم قسنطينة لكن هذا القائد انهزما في هذه الحملة، لكن عبد الواحد لم ييأس وطلب المساعدة من بعض الاعراب وتمكن من هزم أبي عبد الله محمد ودخل تلمسان وذلك سنة 831هـ/1427م، واعلن ولاءه للسلطان الحفصي ولكنه لم يهنئ بحكمه مدة طويلة حتى قتله أبو عبد الله محمد 833هـ/1429م¹، وأعلن نفسه ملك على عرشه الدولة الزيانية.

لكن السلطان أبو فارس الحفصي لم يبق مكتوف الأيدي وخرج للمرة الثانية قاصدا تلمسان فحاصرها وطبق عليها الحصار مما أجبر صاحبها محمد ابن أبي تاشفين على الهروب ليلا إلى الجبال وفي الصباح فتح أهل تلمسان الأبواب ودخلها السلطان أبو فارس، وبعث قائده لمحاصرة محمد ابن أبي تاشفين فطلب منه من معه الأمان على أن يمكنه من الأمير محمد ابن أبي تاشفين فعفا عنهم وقبض على السلطان واعتقله وحمله معه إلى تونس وظل في السجن إلى أن توفي فيه سنة 840هـ/1436م.²

وفي هذه الأثناء نصب أبو فارس الحفصي أبا العباس " أحمد العاقل " ابن السلطان أبو حمو موسى الثاني ولكن هذا السلطان " أبو العباس " سرعان ما اظهر بأسه للحفصيين واعلن برفض عهدهم، فتحرك لقتاله السلطان أبو فارس الحفصي فاحتل جبل وانشريس وانظم أهله تحت طاعته ثم ما كاد يصل لتلمسان³ حتى توفاه الله أجله ليلة عيد الأضحى سنة 837هـ/1433م، وبوفاته تولى الحكم حفيذه المولى أبو عبد الله محمد المنتصر 837هـ- 839هـ/1433-1435م.⁴

¹ رويار برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص257.

² محمد العروسي المصوي، المرجع السابق، ص587.

³ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص191.

⁴ ابن الشماخ، المصدر السابق، ص- ص191-120.



بينما الدولة الزيانية بدأت تدب فيها الاضطرابات والفتن الداخلية بسبب الصراع بين بعض أفراد الأسرة الراغبين في الاستلاء على العرش منهم أبي يحيى بن أبي حمو الزياني" أخ السلطان العاقل" الذي حاول الاستلاء على تلمسان بمساعدة بعض العرب لكنه فشل في ذلك فاتجه نحو وهران واستولى عليها سنة 840هـ/1437م، لكن أبو العباس العاقل لم يتركه مستبدا بوهران إذ دخل معه في حرب تغلب فيها أبو العباس على خصمه واستولى على وهران سنة 851هـ/1447م، وخرج أبو يحيى إلى تونس وبقي بها إلى أن توفي سنة 855هـ/1451م.¹

وفي سنة 839هـ/1435م توفي السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المنتصر وخلفه أخوه أبو عمرو عثمان،² بينما في الدولة الزيانية لم يهنئ السلطان أبو العباس أحمد العاقل من الفتن ولم تكن حروبه تنتهي من طرف أفراد أسرته إذ نهض عليه الأمير محمد بن محمد بن أبي ثابت" المتوكل" سنة 866هـ/1462م، وزحف على تلمسان واستولى على العديد من المدن كوهران ومستغانم، وتوس ووصل إلى تلمسان وفرض عليها الحصار³ مدة يومين وتمكن من دخولها وقبض على أبو العباس أحمد العاقل عم أبيه الذي أبعده إلى الأندلس، ولما سمع المولى السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان بذلك وجه حركته من تونس إلى تلمسان سنة (866هـ/1462)، وعند وصوله خرج إليه الفقهاء والعلماء والأشياخ بأن يلتزموا له بالبيعة عن صاحبها" أبي عبد الله المتوكل" ويدخل تحت طاعته فأجابهم على ذلك وهما راجعا إلى تونس⁴، وكما أن الأمير الزياني لم يهنئ من طرف الحفصيين أيضا لم يهنئ من هجوم اقاربه إذ عندما ابعده أحمد العاقل إلى الأندلس كون جيشا وعاد لمحاصرا تلمسان مدة أسبوعين دون أن يحقق هدفا حيث توفي في ذي الحجة 867هـ/1463م.

¹ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص192.

² ابن الشماخ، المصدر السابق، ص121؛ محمد العروسي، المرجع السابق، ص611.

³ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص192.

⁴ الزركشي، المصدر السابق، ص153.



وبوفاة هذا الأخير عاد الاستقرار إلى الدولة الزيانية بقيادة أبي عبد الله المتوكل وفي سنة 868هـ / 1463م، أعلن رفض الدعوة الحفصية "لابي عمر وعثمان" مما دفع هذا الأخير بالتوجه نحو تلمسان لإخضاع صاحبها، الناكث للعهد والمتخلي عن التبعية للحفصيين، فسعى به أعراب تلمسان من بني عامر وسويد لدى السلطان الحفصي فجاءه بجنوده إلى بعض قلاع جبال الأوراس فاحتلها وأخضع القبائل العربية هناك ثم كانت هدنة وصلاح، ثم أعاد أبو عبد الله المتوكل النكوث مرة أخرى فقاومه الحفصيون وعندما شددوا الحصار¹، جاءت البيعة من المدينة، ومليانة، وتنس وغيرها كما قبلت عليه الأعراب من كل صوب بالمبايعة، عندما وصل ونزل بالمنصورة فستسلم لهم أبو ثابت وكتب بيعته للسلطان الحفصي بأن يزوج ابنته بكرة زوجة للأمير "أبي زكريا يحيى بن مسعود" وبهذا الزواج أكد المتوكل بسيادة السلطات الحفصية على تلمسان وبقي في ولائه إلى الحفصيين إلى أن توفي سنة 870هـ / 1465م،² وبوفاته خلفه ولده أبو تاشفين الثالث الذي لم يدم طويلا في الحكم حتى توفي بعد أن حكما أربعة أشهر وبهذا بدء يدب المعنى في بلاد المغرب الإسلامية فنفضلة الدولة الزيانية عن الحفصيين وعن التبعية لهم.

أدى الصراع والتنافس الذي كان بين دولة المغرب الثالث (المرينيين والحفصيين والزيانيين)، وكذا الصراع الذي كان بين سلاطين وأمراء الدولة الزيانية على العرش إلى ضعفها ونتيجة لهذا الضعف الذي أصاب كل بلاد المغرب الإسلامي خاصة بعد منتصف القرن 9هـ / 15م، مما أدى إلى ظهور الخطر الإسباني والبرتغالي على سواحله وأراضيه.³

لقد تحرك هذا الخطر خاصة بعد أن تمكن الإسبان من الاستلاء على غرناطة آخر حصن عربي إسلامي بالأندلس سنة 897هـ / 1492م، ومبالغة في النكاية بالمسلمين ومنع اللاجئين الأندلسيين من التفكير في العودة إلى وطنهم السليب⁴، وكذلك أصدرت الحكومة الإسبانية

¹ محمد العروس، المرجع السابق، ص-ص 633-634.

² الزركشي، المصدر السابق، ص-ص 157-158؛ روبرير نشفيك، المرجع السابق، ح1، ص291؛ محمد العروسي، المرجع السابق، ص634.

³ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص-ص 46-47.

⁴ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص24.



مرسوما سنة 903هـ/1499م ، يقضي بتصوير أبناء المسلمين الذين قرروا المكوث في الأندلس.

وفي نفس الفترة قررت الدول الأوروبية أن تقتسم فيما بينها مناطق النفوذ بالمغرب حيث سمح للبرتغال أن تتوسع في المغرب، وإسبانيا في الجزائر، وإيطاليا في تونس.¹ وما كاد يحل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي حتى وجه الإسبان حملة باتجاه وهران مهاجمة لمرساها الكبير سنة 911هـ/1505م، وتلتها وهران سنة 915هـ/1509م ، وكذلك بجاية في نفس السنة وواصل الإسبان فتوحاتهم بالجزائر فاستحوذوا على مدينة تدلس " دلس" وشرشال و بهذا أصبح الإسبان يتدخلون في الشؤون الداخلية لدولة الزيانية وفرضوا عليهم الضرائب² ،وعندما وجد سكان المغرب الأوسط أنفسهم تحت رحمة الإسبان وجهوا نداءات إلى المسلمين فكان أول من استجاب لذلك النداء القوة الناشئة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وهم الأتراك.³

¹ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص47.

² عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص- ص198- 200.

³ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص47.

الفصل الثاني

أسباب الهجرة الأندلسية ومراحلها

أولا: أسباب الهجرة

1- سقوط غرناطة

2- إنشاء محاكم التفتيش

ثانيا: مراحل الهجرة

1- بعد سقوط غرناطة

2- في عهد الملكين فارديناندو وإيزابيلا



أولاً: أسباب الهجرة.

1- سقوط غرناطة:

بعدما انهزم الموحدون في حصن العقاب سنة 609هـ/1212م ضعف أمرهم، هذا ما سهل للأسبان عملية الاستيلاء على مدن الأندلس واحدة بعد الأخرى في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، فاستولوا على قرطبة، ثم على جزر البليار وبلنسية، ثم استولوا على إشبيلية وشلب ومازالوا يستولون على بلاد الأندلس وحصونها واحداً بعد واحد، حتى لم يبق في يد المسلمين غير غرناطة التي بقيت في يد بني الأحمر لمناعتها وكثرة أهلها.

واستمر ملك بني الأحمر قائماً في غرناطة إلى أن دب الخلاف على الملك بين أبي عبد الله بن أبي الحسن وبين عمه عبد الله محمد الزعل.¹

كما حدث في عهد ملوك الطوائف اختلف هذان على الحكم وبدأ يتصارعان على مملك غرناطة المحاطة في الشمال بمملكتي قشتالة وأراغون النصرانتين اللتين اتحدتا إثر الزواج الذي عقد بين فرديناندو وإيزابيلا سنة 874هـ/1469م فتوحدتا معا في مملكة واحدة هي اسبانيا.²

بينما انقسمت غرناطة اثر الصراع الذي كان بين الزعل وأبي عبد الله بن أبي الحسن إلى شطرين، الانحاء الشرقية وتشمل وادي آش ويحميها الزعل والانحاء الغربية تشمل مدينة غرناطة ويحميها أبي عبد الله الحسن، فستغل النصارى هذا الصراع وبدأوا في فرض سيطرتهم على جميع القواعد والثغور الأندلسية الجنوبية والشرقية ولم يبق لهم سوى الاستيلاء على غرناطة آخر القواعد الباقية بيد المسلمين، فاستولوا على لوثة سنة 891هـ/1486م وبلش ومالقة سنة 892هـ/1487م بعد حصار دام ثلاثة أشهر،³

¹ محمد علي قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، ط1، دار النشر، (د م)، 1985، ص31.

² راغب السرجاني، المرجع السابق، ص ص، 671-673.

³ المقرئ، المصدر السابق، ج4، ص517-519؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج4، ص-ص 224، 228.



ثم استولوا على بيرة والبلشين سنة 893هـ / 1488م ثم بسطة سنة 895هـ / 1489م والمرية في نفس السنة ووادي آش سنة 895هـ / 1489م التي كانت بيد الزعل الذي تنازل عنها لفرديناندو مقابل مبلغ من المال، وجاز الزغل إلى المغرب حيث نزل وهران ثم انتقل إلى تلمسان وانتقل معه كثيرون من الكبراء الذين أيقنوا أن نهاية الاسلام بالأندلس قد غدت قضاء محتوما.¹

وبقيت غرناطة وعلى عرشها أبو عبد الله الصغير تنتظر مصرعها والضربة القاضية من النصارى.

في سنة 895هـ / 1490م أرسل الملكان الكاثوليكيان فرديناندو وإيزابيلا وفدا يطلب تسليم غرناطة من أبي عبد الله الصغير لكنه رفض الانقياد والخضوع وقرر المقاومة وذلك في سنة 896هـ / 1491م والتي استمرت سبعة أشهر افسد من خلالها العدو الزرع والأرض، وهدم القرى²، وتم قطع الإمدادات عن السكان ورغم ذلك استبسل المسلمون وتحملوا الحصار وأمام اشتداد الضغط والحصار، وبسبب الجوع والغلاء والمرض³ اضطر أبو عبد الله الصغير إلى اتخاذ القرار بتسليم مدينة غرناطة وذلك سنة 897هـ / 1492م، بعدما استشار أهل العلم وأرياب المشورة، فكلف وزيره أبو القاسم عبد الملك بمفاوضات مع العدو فذهب عبد الملك إلى معسكر فرديناندو الذي استقبله بحفاوة وكلف لمفاوضته امينه فرناندو دي نافر او القائد جونر الفودي كريا ، واستمرت هذه المفاوضات بضعة اسابيع انتهت بتوقيع المعاهدة التي نصت على تسليم غرناطة، وفي هذا يقول المقري : « وفي ثاني ربيع الأول من السنة أعني سبع وتسعين وثمانمائة، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا خوف الغدر».⁴

¹ عبد الله عنان، دول الاسلام، ق4، المرجع السابق، ص228.

² محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ج5، صص 272-273.

³ راغب السرجاني، المرجع السابق، ص685؛ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ج5، ص272.

⁴ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص525.



وكانت الشروط سبعة وستين شرطا منه: «تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم، ومنها إقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم أحد عليهم إلا بشريعتهم، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحد، وأن لا يولى على المسلمين إلا مسلم أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل، وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا، وخصوصا أعيانا نص عليهم، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه، والسلطان يدفع ثمنه لمالكه، ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع...»¹.

وبالفعل تم تسليم قصور الحمراء " غرناطة" إلى الملكين الكاثوليكين فرناندو وإيزابيلا في الثاني من شهر ربيع الأول سنة 897هـ / الثاني من يناير سنة 1492م وهاجر بعدها أبو عبد الله محمد الصغير إلى بلاد المغرب، ونزل مدينة مليلية، ثم انتقل إلى فاس فستقر بها حتى وفاته.²

هكذا انتهى آخر مظهر من مظاهر السيادة العربية الإسلامية بالأندلس بعد أن تواصلت ما يقرب من ثمانية قرون في ظل الراية العربية الإسلامية سطر العرب خلالها سجلا حافلا بالمجد والتقدم في جميع مناحي الحياة.

وبعد سنوات نقص فرديناندو وإيزابيلا شروط التسليم، وأجبر المورسكيين* الذين لم يبرحوا مدينتهم غرناطة على اعتناق المسيحية" التنصر" مما أدى بأهل البيازين في غرناطة إلى إعلان الثورة ضد المحتلين، وقام الإسبان على إثرها بقمع الثورة بشتى وسائل العنف والعدوان، مما اضطر المسلمين إلى الفرار من غرناطة والهجرة إلى المغرب بعد أن واجهوا

¹ المقرئ، المصدر السابق، ج4، ص526.

² مجهول، نبذة العصر، المصدر السابق، ص43؛ راغب السرجاني، المرجع السابق، ص689.

*هم الذين اعتنقوا النصرانية وابتنوا الإسلام يطلق عليهم المسلمون الصغار، حسن علي الشفشاط، المرجع السابق، ص97.



وسائل العنف والتعذيب الموجهة ضدهم والتي قامت بها محاكم التفتيش الاسبانية المشكلة بموجب مرسوم بابوي سنة 879هـ / 1478م.¹

2- محاكم التفتيش:

هدفت إلى تنصير المسلمين بإشراف السلطات الكنسية، وبأشد وسائل العنف ولم تكن العهود التي قطعت للمسلمين لتحول دون النزعة الصليبية، التي اصبغت على السياسة الاسبانية الغادرة ثوب الدين والورع، ولما رفض المسلمون عقائد النصارى ودينهم المنحرف وامتنعوا عنه وكافحوه، اعتبرهم نصارى الاسبان ثوارا وعملاء لجهات خارجية في المغرب، وبدأ القتل فيهم وجاهد المسلمون ببسالة في غرناطة والبيازين، فمزقوا بلا رأفة ولا شفقة.² وفي يوم الثلاثاء 4 محرم سنة 907هـ الموافق ل20 من شهر يوليو سنة 1501 م صدر أمر من الملكين-فرديناندو وايزابيلا- يمنع وجود المسلمين في مملكة غرناطة وقد اختارهم- أي الملكين- الله لتطهيرها من الكفرة" المسلمين".

كما أنه يخطر عليهم أن يتصلوا بغيرهم خشية أن يتأخر تنصيرهم، ويخطر عليهم أيضا الاتصال بمن تتصرو النلا يفسد عليهم إيمانهم بمخالطتهم، وكل من خالف تلك الأوامر فجزاؤه الموت وتصادر أملاكه.³

فهاجرت جموع المسلمين إلى المغرب ناجية بدينها ومن بقي من المسلمين أخفى إسلامه وأظهر تنصره، فبدأت محاكم التفتيش نشاطها الوحشي المروع، فعند التبليغ عن مسلم أنه ينفي إسلامه، يزج به في السجن.⁴

وفي اليوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان سنة 908هـ الموافق ل12 من فبراير 1502م صدر أمر ملكي آخر يحتم على كل مسلم حر يبلغ الرابعة عشرة من عمره،

¹ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص71.

² راغب السرجاني، المرجع السابق، ص697.

³ علي مطهر، المرجع السابق، ص26؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج4، ص323.

⁴ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ج5، ص282.



إن كان ذكرا والثانية عشر من سنها إن كانت أنثى أن يغادر مملكة غرناطة قبل أول شهر مايو التالي.

على أنه يسمح لمن يريد الخروج أن يتصرف في ماله وأملاكه على أن لا يكون الخروج إلى إفريقية التي كانت في حرب قائمة مع اسبانيا، وكل مخالفة للأوامر تجعل صاحبها عرضة للموت والمصادرة، ولتميز الأرقاء من الأحرار تقيد أرجلهم بقيود من حديد متى عرفوا.¹

ولوحظ أن كثيرا من منتصرة العرب، وهو الذين تظاهروا باعتراف النصرانية كانوا يبيعون أملاكهم ويفرون إلى إفريقية، فصدر أمر جديد في اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة 909هـ، الموافق للثاني عشر من شهر سبتمبر 1502 صدر أمر ملكي يحظر على الناس التصرف في أملاكهم قبل مضي عامين كما يحظر عليهم أن يغادروا مملكة قشتالة إلا إلى مملكتي الاراغون والبرتغال.²

لقد قام النصارى بإجبار المسلمين على الدخول في دينهم، وصارت الأندلس كلها نصرانية، ولم يبق فيها من يقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله إلا من يقولها في قلبه، وفي خفية من الناس وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصلبان، بعد ذكر الله وتلاوة القرآن، فكم فيها من عين باكية وقلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين، لم يقدروا على الهجرة واللحاق بإخوانهم المسلمين.³

لقد كانت محاكم التفتيش والتحقيق مضرب المثل في الظلم والقهر والتعذيب، كانت تلك المحاكم والدواوين تلاحق المسلمين حتى تظفر بهم بأساليب بشعة تقشعر لها القلوب والأبدان، فإذا علم أن رجلا اغتسل يوم الجمعة يصدر في حقه حكم بالموت وإذا وجدوا رجلا لابسا للزينة يوم العيد عرفوا أنه مسلم فيصدر في حقه الاعدام وكان دستور محاكم التفتيش

¹ محمد على قطب، المرجع السابق، ص46.

² محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص283.

³ راغب السرجاني، المرجع السابق، ص699.

في ديوان التحقيق يجبر محاكمة الموتى والغائبين وتصدر الأحكام في حقهم وتوقع العقوبات عليهم كالأحياء.¹

فتصادر أموالهم أو تنبش قبورهم وتستخرج رفاتهم لتحرق وكذلك يتعدى أثر الأحكام الصادرة بالإدانة من المحكوم عليه إلى أسرته وولده فيقضي بحرمانهم من تولى الوظائف العامة وامتهان بعض المهن الخاصة.²

ثانيا : مراحل الهجرة.

1- بعد سقوط غرناطة:

كانت الهجرة الأندلسية باتجاه المغرب الاسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي إثر إنهيار الثغور والمدن(حول سقوط المدن الأندلسية (ينظر الملحق رقم 03) ،الواقعة شرق الأندلس وعلى الخصوص مدينة بلنسية سنة 636هـ / 1238م، وكذلك بعد اتخاذ قرارات الطرد ضد السكان فهاجرت جاليات مهمة من شرق الأندلس إلى غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس أولا ثم الى بلاد المغرب، ثم هاجرت جاليات غرب الأندلس بعد ضياع إشبيلية 696هـ / 1248م.³

لكن بعد سقوط غرناطة وهو أفجع ما حصل للمسلمين بالأندلس عرفت هذه المرحلة اشتداد حركة الهجرة بشكل ملحوظ مقارنة بما كانت عليه من قبل إذ تحولت الهجرة المحدودة إلى هجرات جماعية.

ولكن مما دفع بالغالبية على الهجرة إلى بلاد المغرب وأجبرهم على ذلك هو إنشاء محاكم التفتيش التي تهدف إلى تنصير المسلمين بمساعدة الكنيسة وتطبيق امتد وسائل العنف والقهر والتعذيب على من رفض ذلك،⁴ ويقدر البعض عدد من عذب من المسلمين

¹ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج4، ص338.

² محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج4، ص338.

³ عبد الواحد دنون طه، حركة المقاومة العربية الاسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الاسلامي، بيروت،

2004، ص:8؛ على كرد، غابر الأندلس وحاضرها، المطبعة الرحمانية، مصر، 1923، ص ص109-110؛ عادل

بشتاوي، المرجع السابق، ص102.

⁴ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص289.

بعد سقوط غرناطة بثلاثة ملايين شخص الذين تعرضوا للقتل والحرق، واضطر من بقي من المسلمين في الأندلس ممن لم يقدرُوا أن يهاجروا إلى بلاد إسلامية أن يتنصروا.¹ فأصدرت بذلك مجموعة من الفتاوى التي هي عبارة عن رسالة وجمعت من أحد فقهاء المغرب إلى المسلمين الذين أكرهوا على التنصير سنة 910هـ / 1504م، ومنها رسالة مفتي وهران أحمد بوجمعة الوهراني وأهم ما جاء فيها: إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمر من أجزل الله ثوابهم فيها لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته الغريباء القرباء ان شاء الله من مجاورة نبيه في الفردوس الاعلى من حياته، وارثو سبيل السلف الصالح، في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى النزاف.. واصبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار.. «² أما الفقيه الونشريسي فقد أفتى بعدم جواز الإقامة في دار الكفر في شأن رجل من الأندلسيين التمس موافقة الفقهاء على البقاء في الأندلس لمساعدة إخوته الصعفاء والتكلم باسمهم عند السلطات، وقال في هذا الصدد: « والإعتلال بإقامة الفاضل المذكور بما عرض من غرض الترجمة بين الطاغية وأهل ذمته من الدجن والعصاة لا يخلص ومن واجب الهجرة ولا يتوهم معارضة ما سطر في السؤال من الأوصاف الطردية لحكمها بالواجب إلا متجاهل أو جاهل معكوس الفطرة، ليس معه من مدارك الشرع خبرة لأن مساكنة من غير أهل الذمة والصغار لا تجوز ولا تباح ساعة من النهار، لما تنتجه من الادناس والمفاسد الدينية والدينيوية طول الأعمار منها أن غرض الشرع أن تكون كلمة الاسلام وشهادة الحق قائمة على ظهورها، عالية على غيرها منزهة عن الازدراء بها، ومن ظهور شعائر الكفر عليها..»³. ويؤكد الونشريسي على وجوب الهجرة لإرتباطها

¹ علي مطمر، المرجع السابق، ص23؛ محمد علي قطب، المرجع السابق، ص41.

² محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام، المرجع السابق، ص343.

³ الونشريسي، أسن المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصرارى ولم يهاجروما ترتب عليه من العقوبات والزواج، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ص ص 57-59.



بالعقيدة الصحيحة فيقول بعد شرح طويل لقواعد الاسلام : « فكيف يتوقف متشرع او يشك متورع في تحريم هذه الاقامة مع استصحابها لمخالفة جميع هذه القواعد الاسلامية الشريفة الجليلة» .

لقد كان الوضع الاجتماعي المر الذي عاشه المورسكيين من أهم العوامل التي زادت في عملية الهجرة، خاصة بعد إجبار المسلمين على التخلي على اللغة العربية وتعلم الاسبانية، وأن يتركوا استعمال ثيابهم القومية وأن يتركوا استعمال الحمامات والاغتسال يوم الجمعة، وأن تفتح أبواب منازلهم أيام الحفلات وأيام الجمعة والسبت، وألا يقيموا رسوم المسلمين أيام الحفلات، بل أكثر من ذلك تعدو على الحرمات ومنعوا التحجب على النساء وعليهن أن يكشفن وجوهه¹ ويحرم استعمال الأسماء والألقاب العربية، ومن يحملها يجب عليه أن يبادر بتركها مثل اسم مصطفى غير فأصبح لازار وفرندو، محمد بن أمية أصبح فردينا ندي فالورو غيرها من الأسماء التي فرضت على المسلمين².

لقد ارتكب الإسبان ابشع الجرائم في حق المورسكيين كمنذبة لشبونة سنة 911هـ/ 1506م التي قتل فيها عدد كبير من اليهود والمسلمين، وأما البعض من المسلمين ثم حرقهم أحياء أمام المأ من أجل ترهيب البقية منهم³، واستعملت آلات ووسائل عديدة في تعذيب المسلمين، كالات شل اللسان، آلات تكسير العظام وسحق الجسم، وتمزيق أئداء النساء بواسطة كلاب حديدية حادة، وسياط من الحديد الشائك وغيرها من وسائل التعذيب التي استعملت في تعذيب المسلمين ، كل هذا كان سببا في هجرة الكثيرين من سكان الأندلس خلال هذه المرحلة و مما يلفت النظر ويؤكد على ارتفاع عدد المهاجرين ان عدد سكان غرناطة كان يقدر باكثر من مليونيين قبل سقوطها في سنة 886هـ/1482م وان اثبتت

¹ محمد عبد الله المرجع السابق ص358.

² محمد علي قطب المرجع السابق ص ص 61-71.

³ نفسه ص-ص 98-100.



الوثائق التي تقدر من تبقى من المسلمين في غرناطة بحوالي ثلاثمائة ألف فمعنى ان الهجرة قد بلغت حدا عاليا جدا سنة 917هـ/1512م.¹

2- في عهد الملكين فرديناندو وإيزابيلا:

عندما تسلم الملكين الكاثوليكين فرديناندو وإيزابيلا مملكة غرناطة 897هـ/1492م تعهد بأمر كثيرة لسكان غرناطة منها، لا يحكم عليهم (اي على سكان غرناطة) أحد إلا بقوانينهم، لكن سرعان ما نقضة بنود المعاهدة و اخذ فرديناندو وإيزابيلا يعدلان وبحوران في هذه البنود و تخلوا عن شروط الصلح الواحدة تلو الأخرى،

خاصة وأن سياستهم كانت أداة طيعة في يد الكنيسة التي كانت تجيش بنزعتها الصليبية وتضطرم رغبة في القضاء على الأندلس في اسبانيا،² فأصدرو بذلك مجموعة من القرارات كان أهمها تخير المسلمين بين أمرين إما التصير أو الهجرة، ففي سنة 897هـ/1492م صدر قانون يقضي بطرد اليهود وهذا تمهيد لطرد العرب المسلمين من غرناطة، وقد قدر عدد اليهود الذين أخرجوا من اسبانيا حوالي 400 ألف شخص،³ خرج أكثرهم إلى إفريقيا، وفي نفس الوقت الذي كان يجري فيه طد اليهود من قشتالة كان الاسبان يخططون لطرد المسلمين من قشتالة وليون، لكن الكثير من النبلاء وأصحاب الاقطاعات رفضوا هذا القرار القاضي بالطرد بذريعة ان المسلمين كانوا يعملون في الأرض بأنسب الشروط.

وعندما عثرت لسلطات الاسبانية على مستودع الأسلحة في أحد أحياء غرناطة فاتخذت ذلك ذريعة لتقول أن الأندلسيين خرجين عن القانون فاستعملت أبشع أساليب القمع والعنف⁴ واعدمت عددا كبيرا من المسلمين وفيها بعد استغلت هذا الحادث وقامت بجلي المسلمين الأندلسيين في غرناطة في حيين، هما حي البيازين، وحي انتيكرولا جمعت فيها

¹ راغب السرجاني، المرجع السابق، ص703.

² عبد الواحد دنون طه، حركة المقاومة، المرجع السابق، صص 10-16.

³ اسعد حومد، محنة العرب، المرجع السابق، ص223.

⁴ اسعد حومد، المرجع نفسه، ص224.



حوالي خمسين ألف شخص واضطرا من بقي من سكان غرناطة الذي يتراوح عددهم بين 150 و200 ألف شخص إلى الهجرة نحو إفريقيا¹.

وفي هذا الصدد يتكلم صاحب كتاب نبذة العصر على هجرات المورسكيين وأماكن استقرارهم وفي هذه الهجرات يقول: « ثم بادر المسلمون بالجوار إلى العودة من المراسي فخرج من بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى باديس، وخرج أهل المرية في نصف اليوم إلى تلمسان، وخرج أهل الجزيرة الخضراء في نصف اليوم إلى طنجة، وخرج أهل رندة وبسطة وحصن موجر و قرية قردوش وحصن مرتيل إلى تطوان واحوازاها»².

¹. اسعد حومد ، المرجع السابق، ص-ص222-224.

² مجهول، نبذة العصر..، المصدر السابق، ص48.

الفصل الثالث

التأثير الأندلسي في المجال الاقتصادي

أولاً: في المجال الزراعي

1- أنواع المنتجات الزراعية

2- عوامل تطور الإنتاج الزراعي

ثانياً: التأثير الأندلسي في مجال الصناعات

1- أنواع الحرف وأماكن استقرارها

2- دور النشاط الحرفي في التجارة

أولاً: في المجال الزراعي.

1- أنواع المنتوجات الزراعية:

يرجع الفضل في تطوير الانتاج الزراعي وتنوعه في بلاد المغرب الأوسط إلى الفلاحين والمزارعين الأندلسيين الذين كان لهم فضلا كبيرا في إصلاح العديد من الأراضي الزراعية وإدخال أنظمة ووسائل لخدمة الأراضي فشقوا الطرقات ومدوا القنوات وأنشأوا العيون والقناطر وحفروا الآبار كل هذا من أجل تطوير الانتاج الزراعي وتحسينه.¹

فقد استثمر الأندلسيون في ممارسة العديد من الزراعات، كزراعة الخضر بمختلف أنواعها والاشجار المثمرة عن طريق التقليم والتطعيم كأشجار الزيتون والبرتقال والمشمش والاجاص والتفاح والخوخ والكرز والتين ومن أهم المدن التي كانت تنتج هذه المحاصيل هنين* التي توفرت بها كميات وافرة من الثمار.²

كما ساهم الفلاحون الوافدون من الأندلس في ادخال العديد من أنواع المزروعات الجديدة إلى بلاد المغرب، حيث زرعوا بالمنطقة النارج والفلفل والبطاطس والقرمز والبدنجان والزعفران والسبانخ والجلبان وأنواع الزهور، وقاموا بتوسيع زراعة الليمون والبرتقال في نواحي البليدة، وكذلك التوت في كل من القليعة وشرشال من أجل تربية دودة الحرير.³

وفي هذا يقول حسن الوزان: « وكانت شرشال حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي مدينة مهجورة بسبب الحروب بين ملوك تلمسان الزيانيين وملوك تونس الحفصيين إلى أن قصدها واستقر بها الغرناطيون بعد سقوط غرناطة في يدي النصارى عام 1492م، فأنشأوا وأعادوا بناء عدد مهم من دورها، وجددوا القلعة ووزعوا الأراضي

¹ كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة..، المرجع السابق، ص ص 58-60.

* هنين مدينة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة للغاية تقع بأرض قبيلة ولهاصة في دائرة ندرومة غربي مصب نهر تافنة/الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ج2، ص534.

² حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص ص 15-16.

³ ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، (الجزائر- تونس- طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت 1431هـ/2010م، ص29.

بينهم، ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة، واشتغلوا بصناعة الحرير، إذ وجدوا هناك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود».¹

ونتج عن ذلك استعماله في لباس النساء وحتى الرجال وفي لحف النوم وستائر النوافذ والأبواب، وفي ستر الموتى على النعش بالحرير²، كما تمكنوا من ادخال زراعات أخرى جديدة عرفتها بادية مستغانم* وهي زراعة القطن، وقد ساهمت وفرة المياه وخصوبة التربة بها على وفرة هذا المحصول.³

أما عنابة فقد كان ينتج فيها ثمار الكروم والعناب وتشتهر بونة باسم بلد العناب لكثرة ما يزرع من أشجار العناب في احوازها، وهو يجفف ويؤكل في فصل الشتاء،⁴ أما مدينة تنس** فقد اشتهرت بالسفرجل إلى جانب وفرة الانتاج الفلاحي بها، وظلت على عهد الدولة الزيانية

من المدن الهامة اقتصاديا وكان إنتاجها يغذي سوقها الداخلي على الدوام بما جادت به أرضيها.⁵

¹ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص34.

² الونشريسي، المعيار المغربي، المصدر السابق، ج6، ص ص108-116.

*مستغانم هي بقرب نهر الشلف على البحر، مدينة ذات عيون ويساتين وطواحين ماء، ويبذر في أرضها القطن...الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص473.

³ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية، المصدر السابق، ص69.

⁴ أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997، ص-ص186-198.

**تنس مدينة على ساحل البحر، بالمغرب الأوسط بين الجزائر ووهران، ويرجع تأسيس مدينة تنس الحديثة إلى الأندلسيون...، البكري، المصدر السابق، ص61.

⁵ عمر بلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأدنى والأقصى من القرن6-9هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، (أطروحة الدكتوراه) في التاريخ الاسلامي، إشراف غازي مهدي جاسم، جامعة وهران، 2009-2010، ص182.

وكذلك مدينة وهران التي كانت مقرا للأندلسيين حيث يقول ابن حوقل عن هذه مدينة أنها فرضت الأندلسيين أي هم الذين قاموا بتأسيسها وينتجعون من مرساها كانت معروفة بغناها الفلاحي خاصة في انتاج القمح والشعير كما توفرت بها جميع الفواكه.¹

اعتنى الأندلسيون أيضا بزراعة الزيتون فوجد شيخ الأندلسيين مصطفى قردناشي قد عمل على تجديد غابة الزيتون بعناية حيث غرس بها 30000 عود زيتون بفحومها عندما قصدها هربا من مضايقات حاكم تونس علي باشا.²

واشتهرت مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية بما تنتجه حيث ظلت محل إشادة بعض الجغرافيين وقد أبدع حسن الوزان في وصفه لخيرات تلمسان واحوازها حيث قال : « وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية... حيث الكرم المعروشة الممتازة تنتج اعنابا من كل لون، طيبة المذاق جدا، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى، والتين الشديد الحلاوة، وهو أسود غليظ طويل جدا، يجفف ليؤكل في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة».³

2- العوامل المساعدة في تطوير الانتاج الزراعي:

من العوامل التي ساعدت الأندلسيين في تطوير الزراعة: هي توفر المياه إذ أن مصدر المياه هو الأمطار الموسمية والعيون والأنهار والآبار حيث كان لتساقط الأمطار أهمية قصوى في العمل الزراعي فضلا عن كونها تشكل المصدر الأساسي للمزروعات، فإنما كانت تتحكم بقوة في جريان الأنهار والعيون، وقد كانت أغلب السهول والهضاب تعتمد على أمطار ويتوفر البلاد على هذه المصادر المتنوعة من المياه ساعد الأندلسيين في تطوير الزراعة.⁴

¹ ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، ص- ص 78- 79؛ حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص- ص 30- 31.

² نصر الدين سعيديوني، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص29.

³ حسن الوزان، المصدر السابق، ص20؛ عمر بلبشير،، المرجع السابق، ص181.

⁴ كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص58؛ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص199.

بالإضافة إلى معرفتهم لطرق الري التي كانت تقوم على تنظيم محكم، فنجدهم قد أقاموا النواعير (النوريات) والاحواض والصحاريح، ومدوا السواقي والاحواض بالمناطق التي أقاموا بها،¹ مثل تلمسان التي اشتهرت بكثرة قنواتها التي تستمد مياهها من الوديان وتتشعب القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة.²

وتشير المصادر الجغرافية إلى أن مزارع مليانة وبساتينها كانت تسقى بالسواقي التي أقيمت على نهر شلف، كما سجل الجغرافيون كثرة النواعير بمنطقة متيجة التي عرفت بخيرات أراضيها ومراعيها ووفرة المياه لها.³

كما كان لهم الفضل في مد مدينة الجزائر بشبكة مائية متطورة فعلى سبيل المثال أمكن بفعل مهارة الأندلسيين وفي مقدمتهم الصانع أوسطى موسى الذي استطاع توفير المياه لمدينة جزائر بني مزغنة، وسقى البساتين المحيطة بها بمد قنوات المياه تحت الأرض من بئر طربلية والزبوجة والحامة.⁴ أما مدينة البليدة هي الأخرى شهدت شبكة مائية كبيرة حيث قام الأندلسيين بتحويل مياه واد الرمان الذي يصب من اعالي الشريعة عبر قنوات طولها 1500م ذات منسوب مائي يصل الى عشرين ألف لتر يوميا فوجه جزء من هذه المياه الى ري محاصيل الزراعية، أما الجزء الآخر فقد وجه للشرب ومجالات أخرى، ولم يقف الأندلسيين عند هذا الحد بل استغلوا المياه المنحدرة من اعالي الشريعة عبر واد الخميس وبني عزة وجبور وبني مفتاح لسقي بساتين البرتقال الكبيرة التي غالبا ما كانت توصف بالغابة الكثيفة التي تحيط بمدينة البليدة من كل الاتجاهات، وبالنسبة لشرشال تمكن الأندلسيين من جلب المياه من المرتفعات الشرقية والاماكن التي استقروا بها عبر قنوات مصنوعة من الفخار والطين المعالج، وهذا راجع الى عدم استغلالهم لمياه الابار التي تغلب عليه الملوحة لقربها من الساحل، وقد اتسع نشاطهم هذا في كل من سهول متيجة وسفوح الاطلس³، أما

¹ نصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاجتماعية...، المرجع السابق، ص29.

² عمر بليشير، المرجع السابق، ص203؛ كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص60.

³ اليعقوبي، كتاب البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م، ص197؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، المصدر السابق، ص61.

⁴ نصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاجتماعية...، المرجع السابق، ص29.

طرق الري فقد كانت منظمة جدا بتلمسان حيث وضع جدول يتضمن أوقات ري المحاصيل وعلى المزارعين اتباع الاوقات المحددة لذلك، وتتم هذ العملية على مراحل باليوم الواحد فهناك من يروي نهارا وهناك من يروي ليلا، وهناك من الغداة إلى الزوال، ومنهم من الزوال إلى العصر، إذ كان مصدر المياه في المدينة نهر سطفسيف ينقل إلى الساقيات والقنوات، وتمر المياه لتصل إلى صهريج غرب المدينة ثم تسير بالقنوات إلى داخل المدينة للاستهلاك المنزلي والزراعي بعد أن تكون تشعبت إلى قنوات كثيرة ليتم ري المزارع والبساتين.¹

ثانيا: التأثير الأندلسي في مجال الصناعات

1- أنواع الحرف وأماكن استقرارها:

تقصد بالصناعة في هذه الدراسة ما يتعلق بتصنيع الانتاج الزراعي وما يتصل به، واستنباط المعادن وتصنيعها، وما يتعلق بها من الحرف المتداولة عند سكان المغرب الأوسط والاستفادة من ذلك كله في متطلبات الانسان الضرورية والكمالية.

وبالاستناد إلى قول ابن خلدون في الصنائع وضمها إلى بعضها حيث يقول: « وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرها مثل التجارة والحياكة معهما الغزل إلا أن العمل فيهما أكثر فقيمه أكثر ». ² ومعنى ذلك أنه يستدعي تكامل وتفعيل الأنشطة بعضها ببعض.

أن الصناعات الموجودة في بلاد المغرب الأوسط تستجيب أساسا لمتطلبات الحياة اليومية للناس من لباس وزينة للنساء والرجال، وتزيين البيوت والمساجد وفراشها وصناعة آلات الحرب وسبك الحديدو معدات الخيل وسروجها وغيرها من مهن الصباغة والطحن والخرطة وتجارة الخشب.

لقد كان النشاط الصناعي يحتل مرتبة معتبرة من حيث الاهمية في اقتصاد المغرب الأوسط ونتيجة تشجيع الحكام لهذا القطاع أصبح محل استقطاب فئة كبيرة من اليد العاملة خاصة الأندلسيين،³ فقد استطاعت تلمسان أيام أبي حمو الأول (707-718هـ/1307-

¹ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المصدر السابق، ص77؛ لخضر مشرف، المرجع السابق، ص28.

² ابن خلدون، العبر ودوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ج1، ص478.

³ عمر بليشير، المرجع السابق، ص- ص212-213.

1318م)¹، وابنه الأمير أبو تاشفين (718-737هـ/1318-1336م)، بالصناع من أهل غرناطة² وهؤلاء مهروا في مختلف الميادين من الصناعات، واشتهروا بجودة منتجاتهم الحرفية، لذا نجد الورشات الحرفية قد انتشرت في الأحياء والازقة وعرفت بأسماء الصناعات التي اختصت بها، مثل حي الشواشي والبشماقجية أو البلاغجية (صناع الاحدية). القزادرية (تبييض الأواني النحاسية)، حي الصباغين، حي الخراطين والفخارين، وحي الحدادين والعطارين.... إلخ.³

ومن أهم الصناعات التي امتهن بها الأندلسيين وتميزوا فيها حرفة النسيج وصناعة الأقمشة وهذا راجع إلى توفر المواد الأولية من كتان وصوف وحرير وأشجار التوت، هذا ما جعلهم يشتهرون في نسيج أنواع الأقمشة وأصناف جيدة من الزرابي ذات الطابع الأندلسي، وقد انتشر هذا النوع من الصناعات في كل من متيجة وندرومة،⁴ وتلمسان والجزائر و البليدة وقلعة بني راشد وهنين وشرشال وكذا مدينة ندرومة- التابعة لمملكة تلمسان- يقول الوزان: « وندرومة اليوم مزدهرة لكثرة الصناعات فيها، وينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه ينبت بكثرة في الناحية»⁵ أما البكري فيقول عن متيجة « تعد من أهم مراكز إنتاج الكتان بالشمال الإفريقي»⁶

أما هنين فساكنها يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات، كما استغل الأندلسيين بحرفهم اليدوية المعروفة بالشبيكة والتطريز والسراويل والأحزمة وصناعة الشاشية التي أصبح لها سوق خاص بها يسمى سوق الشواشي، وقد ارتبطت مهنة التسييح بمهنة الصباغة في

¹ محمد بوشقيف ، المرجع السابق، ص31.

² عمريلبشير، المرجع السابق، ص213.

³ ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص33.

⁴ عمريلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، المرجع السابق، ص- ص216- 218.

⁵ حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص14؛ لخضر مشرف، المرجع السابق، ص41..

⁶ البكري المسالك والممالك، دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 2003، ص- ص65، 17.

كل من برشك ومليانة وعنابة وميلة حيث كان معظم الصناعات في العباد من الصباغين، وكذلك في دلس لوجود العيون والجداول بها.¹

وتزيين مداخل البيوت والعيون مثل ما عرف عن مدينة هنين دورها في غاية الجمال والزخرفة، أرضها مبلطة بالزليج الملون وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج، والجدران مكسورة كلها بالفسيفساء الفنية.²

كما عرف عن الأندلسيين التقن في صناعة المجوهرات والحلي واستمرت بعض الأسر الأندلسية في تلمسان لدقة صناعاتها وإتقانها، فكانت تصنع الخواتم الفضية والذهبية، إضافة إلى صناعة الخلال والاقراط.

وقد سيطر الأندلسيين على مصانع الأسرجة والنسيج والأسكافة والحداثة،³ حيث كان في تفسرة القرية من تلمسان يكثر الحدادون لوجود معدن الحديد قريبا من البليدة. وتصنع من الحديد في جبال بجاية سبائك صغيرة تستعمل كعملة، كما تضرب فيها نقود صغيرة من الفضة.⁴

أما صناعة الجلود فقد طورها الأندلسيين وأصبحت أكثر جودة مما كانت عليه من قبل، حيث كانوا يعالجونها قبل استعمالها في أغراضها المحددة، كما تقنوا أيضا في التجارة الخشبية المتمثلة في الخزائن والصناديق والأبواب والنوافذ وما يدل على تقن الأندلسيين هو إحدى أبواب المدرسة التاشفينية في متحف تلمسان تعود إلى القرن الثامن من الهجري الرابع عشر الميلادي، وكذلك من الآثار الأندلسية الدالة على ذلك ثرية مسجد تلمسان التي ترجع إلى عهد ياغمراسن بن زيان.³

¹ أمين توفيق الطيبي ، المرجع السابق، ص187؛ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص33.

² حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص15.

³ مشرف لخضر، الأهمية الاستراتيجية...، المرجع السابق، ص39.

⁴ أمين توفيق الطيبي ، المرجع السابق، ص188. 3 لخضر مشرف، المرجع السابق، ص-ص 36، 40، البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب... المصدر السابق، ص76.

2- دور النشاط الحرفي الأندلسي في التجارة:

لقد امتدت نشاطات الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط إلى كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية والزراعية والتجارية هذا ما جعلهم يكونون ثروات ضخمة ساهمت في رفع اقتصاد المغرب الأوسط لفترة من الزمن.

لذلك نجد أن الجالية الأندلسية المقيمة في مدن المغرب الأوسط قد شاركت في رفع الاقتصاد بفضل سيطرتهم على العديد من الصنائع والمهن كالنسيج والخياطة والحدادة والصبغة فانتشروا العديد من الورشات الصناعية.

وكانت الأسواق في المغرب الأوسط تتمركز في المدن الكبرى كأسواق مدينة تلمسان إذ قال عنها البكري أنها قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق.⁴

ولاحظ الوزان أن سوق يعقد في معسكر " إقليم بني راشد" كل يوم خميس يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل وكثير من منسوجات البلاد كالحبال والسروج وحاجيات الخيل، وهذه المنتجات المباعة في السوق برع فيها الأندلسيين وخاصة في مجال المنسوجات والأسرجة.¹

وفي عنابة كان السوق يعقد في كل يوم جمعة خارج أسوار المدينة ويستمر الى المساء وفي جبال الجزائر وقسنطينة كانت تعقد أسواق تجارية تباع فيها الحيوانات والحبوب والصوف² وفي هذا يقول البكري عن " بونة" عنابة « ومدينة بونة برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل...وأكثر تجارها أندلسيون»³ ، كما عرف عن الأندلسيين ممارسة التجارة الخارجية إلى جانب الحرف البدوية وكان معظمهم ينشط في التجارة البرية فينتقلون مع القوافل بين المدن المغربية والمشرقية وكانوا ينتقلون بين المدن الأوربية وخاصة مبورقة وبرشلونة وبين مدن المغرب الأوسط لممارسة عملية التبادل التجاري بواسطة السفن التي

¹ حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص ص26- 27.

² امين توفيق الطيبي، المرجع السابق، ص187.

³ البكري، نفسه، ص55.

يؤجرونها، وقد قاموا بدور الوساطة بين تجار تلمسان وتجار أراغون،¹ ومن أهم الأعمال التي عرف بها الأندلسيون تجارة الذهب المستخرج من بلاد السودان، وتأتي المنسوجات المصنوعة من الكتان أو من القطن في قائمة البضائع التي يعمل على تصديرها الأندلسيون من مدن المغرب،² وكذلك أصناف السجاد والحرير بجميع أنواعه وأشكاله كما صدروا المعادن الثمينة كالفضة ومعادن أخرى مثل الرصاص الزئبق، وقد ساهم الأندلسيين في تنشيط حركة المبادلات التجارية مع الممالك المسيحية الأوروبية والأندلس والمشرق الإسلامي، ونتيجة لإتقانهم عدة لغات كالعربية والفارسية والفرنجية والرومية والأندلسية والصقلية ساعدتهم ذلك في تنمية معاملتهم مع التجار ومنه رواج تجارتهم، فكونوا بذلك شركات تجارية بها وكلاء في الموانئ والأسواق الجنوبية وموانئ دول أوروبية، وقد كانت هناك علاقات تجارية بين الأندلسيين بالأسواق التجارية الواقعة بطرق القوافل وأبناء عموماتهم بميرورقة، وكان الاتصال يتم بواسطة موانئ الدولة الزيانية مثل الجزائر وتنس ووهران³ وهذه المدن استقبلت العديد من المهاجرين الأندلسيين ونشطوا موانئها، ولهذا اعتبر النشاط التجاري من أكثر الأنشطة الاقتصادية التي استهوت المهاجرين الأندلسيين مقارنة بالنشطين السابقين (الزراعة والصناعة)، والسبب في ذلك راجع إلى عاملين:

أولاً: أن التجارة كانت أكثر الحرف عوادا على أصحابها بالأرباح الطائلة، بينما كانت الفلاحة حسب تعبير ابن خلدون من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو.

ثانياً: معرفة المهاجرين بالمسالك التجارية وخبرتهم بالبلاد المسيحية التي تجرى معها المبادلات أهلتهم للغوص في هذا المجال.⁴

¹ ميلودي زهرة، "الرحلات البحرية ودور اليهود في تنشيط التجارة الساحلية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثالث، جامعة عبد الحميد مهرب، قسنطينة، رمضان 1437هـ - جوان 2016، ص 193.

² أمين توفيق الطيبي، المرجع السابق، ص 189.

³ ميلودي زهرة، نفسه، ص 193.

⁴ ابن خلدون، العبر ...، المصدر السابق، ج 1، ص 398.

الفصل الرابع

التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي

أولاً: أماكن استقرار الأندلسيين بالمغرب الأوسط

1- نماذج من المدن التي استقر بها الأندلسيين

2- بعض العائلات الأندلسية

ثانياً: التأثير الاجتماعي للأندلسيين

1- العادات والتقاليد

أولاً: أماكن استقرار الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط.

1- نماذج من المدن التي استقر بها الأندلسيين:

بعد ضياع الأندلس من أيدي المسلمين، خرج العديد من الأندلسيين متجهين إلى بلاد المغرب الأوسط، فارين من بطش محاكم التفتيش والاضطهاد الذي لقوه من طرف فرديناندو وإيزابيلا باحثين عن أماكن للأمن والاستقرار، ومن المناطق التي استقر بها مهاجرو الأندلس ببلاد المغرب الأوسط مدينة تنس التي قصدتها هؤلاء المهاجرين سواء الصناع أو الحرفيين أو التجار وتأكيذاً على وجود الأندلسيين بهذه المدينة ما قاله البركري في ذلك: «وتنس الحديثة أسسها وبنها البحريون من أهل الأندلس... ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل البيرة وأهل تدمير»¹.

أما بالنسبة لمدينة وهران التي تعد أقرب المناطق الساحلية على الأندلس قد نالت نصيباً كبيراً من الأندلسيين هذا ما يقوله صاحب كتاب الاستبصار في قوله: «مدينة على ضفة البحر، بناها جماعة من الأندلسيين البحريين فسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بنومسكين»². فقاموا بتطوير عمرانها ونشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية بفصل ما حملوه معهم من خبراتهم العمرانية ومهاراتهم الفنية والصناعية وأنشطتهم التجارية³. أما تلمسان رغم إنشغال ملوكها بالنزاعات والفتن الداخلية إلا أن الأندلسيين استقروا بها، وقد جلب هؤلاء المهاجرين عاداتهم وتقاليدهم فأثروا بذلك على مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خاصة التعليمية منها⁴.

¹ البركري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب...، المصدر السابق، ص 61.

² مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 133.

³ عبد القادر بوباية، خديجة بورملة، "النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر الأبيض المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط"، مجلة عصور الجديدة، العدد 23، أوت 2016م، ص 137.

⁴ عبد المجيد قدور، "الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائرية كنموذج"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، ديسمبر 2003م، ص 177.

لذلك نجد أحد ملوك الأندلس عبد الله الزغل وحاشيته اتخذوا تلمسان مقرا لهم عندما أوشكت غرناطة على السقوط، ويفضل هذا التواجد الأندلسي بتلمسان أصبح عدد دورها المسكونة ثلاثة عشر ألف دار.

كما توافد على مدينة شرشال بعد سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين العديد من الأندلسيين وأعادوا بناء البلاد بعدما كانت مهجورة من السكان زهاء ثلاثمائة سنة بسبب الحروب القائمة بين ملوك تلمسان وملوك تونس، فجددوا القلعة ووزعوا الأراضي بينهم وصنعوا كثيرا من السفن للملاحة، وبهذا عاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في ألف ومائتين بيت فبفضلهم تم إحياء مدينة شرشال¹.

أما مدينة جزائر بني مزغنة فهي أيضا نالت نصيبا من الأندلسيين المهاجرين الذين توافدوا عليها بكثرة فسكنوا الكثير من أحيائها ومن أشهر هذه الأحياء حي الطقارة الذي بناه الأندلسيين الوافدين من فالنسيا وأرجوانا وكتالونيا، وكذلك حي الأبيار وحي بئر خادم اللذان كانا المقام المفصل لأصحاب الثروات من الأندلسيين².

كما انتقل الأندلسيون إلى مدينة مستغانم وكان معظم سكانها القدامى قد هجروها بسبب اضطراب جبل المن حولها وتدهور سلطة ملوك تلمسان، فعمروها وحولوا ميناءها الصغير إلى ميناء حربي³.

وبالنسبة إلى مدينة بجاية أصبحت محطة للأندلسيين الذين أصبحوا يشكلون جزء كبير من سكانها، وكان أغلب هؤلاء من الفقهاء ورجال العلم⁴.

هذه بعض النماذج من المدن التي استقر بها الأندلسيين وكان لهم الدور الأساسي في بناء بعض هذه المدن وإعادة تعميمها من جهة، وفي تطويرها وازدهارها من خلال نشاطهم الاقتصادي والزراعي والتجاري من جهة أخرى.

¹ حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 19-35.

² عبد المجيد قدور، المرجع السابق، ص 174.

³ عبد القادر مرجاني، "هجرات الموريسكين إلى الجزائر ومساهماتهم في مواجهة المدن الأيبيري في حوض البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي"، مجلة القرطاس، الأغواط، العدد 11، جانفي 2019م، ص 53.

⁴ عبد المجيد قدور، المرجع السابق، ص 176.

2- بعض العائلات التي استقرت ببلاد المغرب الأوسط:

لقد كانت الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط كثيرة بحيث وصفها عبد الرحمان ابن خلدون في أكثر من موضع في كتابه بالجالية¹، وتجلت هذه الكثرة في تكوين الندلسيين لمجتمع خاص بهم بين أهل المغرب الأوسط، وظهر مصطلح الجماعة الأندلسية لأول مرة²، كما أن هذه الهجرة لم تقتصر على مدينة بعينها بل شملت مختلف الحواضر الأندلسية ولم تقتصر على فئة واحدة من سكان الأندلس بل ضمت الصناع والحرفيين وأهل العلم والآداب ورجال السياسة الهاريين من ويلات الحرب وضياع المال، وقد مارست الكثير من العائلات والأسر الأندلسية التي استقرت بالمغرب الأوسط العديد من الأعمال والنشاطات في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى السياسية، ومن خلال تتبع واستقراء للمصادر والمراجع التي عُنيت بالهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة، نجد عائلات ابن الملاح، إذ أن أصل هذه العائلة يكتنفه الغموض، حيث يشير ابن خلدون في كتاباته عنهم بأنهم من قرطبة، وكانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدرهم واشتهروا بخصال الثقة والأمانة، وقد نزلوا بتلمسان مع جالية قرطبة، فاحترفوا بحرفتهم الأولى وزادوا إليها الفلاحة، وتقلدوا أرقى المناصب في بلاد بني عبد الواد³، فاستعان بهم أبي حمو بن أبي سعيد الزياني في دولته، حيث ألقى تقاليد الوزارة والحجابه إلى محمد بن ميمون بن الملاح، ثم ولده محمد الأشقر ثم ولده ابراهيم وعمه علي بن عبد الله بن الملاح⁴. عائلة الأبلبي أصل هذه العائلة من أبلبة* التي هاجر أهلها إلى المغرب بعد سقوطها بيد النصارى.

¹ ابن خلدون (عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج6، ص ص 452-464.

² ابو العباس الغبريني، عنوان الدراة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص 287.

³ ابن خلدون (عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج7، ص ص 140-141.

⁴ محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 62.

* أبلبة: هي تجمع لقرى عديدة من بلاد الجوف الأندلسي أي إلى الشمال الغربي من مدريد، للمزيد أنظر: المقري، المصدر السابق، ج5، ص 244، الهامش الأولى؛ شكيب ارسلان، الحلل السندسية، ج1، ص 319.

فكان من أفراد هذه الأسرة أبو عبد الله* محمد بن إبراهيم الأبلبي، شيخ عبد الرحمان بن خلدون، وقد تأكد أصله على أنه من الجالية الأندلسية، من أهل أبله من بلاد الجوف منها، أجاز أبوه إبراهيم وعمه أحمد فاستخدمهم يغمراسن بنو زيان وولده في جندهم وقد كان أبوه إبراهيم قائداً بهنين من قبل الزيانيين، فلما ملكها المرينيون اعتقل وتحول ابنه إثر ذلك إلى بني مرين حيث صار قائداً لجند الأندلسيين، لكن ذلك لم يرق له واتجه إلى الحج، وقد رجع إلى تلمسان بعد أن سمع بموت السلطان المريني يوسف بن يعقوب وخلص أهلها من الحصار، وذكر تلميذه عبد الرحمان بن خلدون أن همته انبعثت إلى تعلم العلم، وكان ميله إلى العلوم العقلية، وقد أورد أبو حمو صاحب تلمسان بعد أن استقرت له الأمور أن يستخدم الأبلبي في ضبط أمواله ومشاركة عماله¹.

هذه بعض العائلات التي استقرت في كنف الدولة الزيانية ومارست مهنة اسندت إليها من قبل أمراء بني عبد الواد، ومثلما هاجرت عائلات أندلسية إلى بلاد المغرب الوسط نجد أيضاً عائلة ابن خلدون والتي كان لأفرادها دوراً في بلاط الدولة الزيانية مثلما هو الحال بالنسبة ليحيى بن خلدون** الذي شغل مناصب سياسية وإدارية في خدمة الأمير أبي عبد الله الحفصي وفي خدمة السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، فكانت بداية نشاطه في بلاط الحفصيين إذ ساعدهم على امتلاك إمارة بجاية وبوفاة الأمير عبد الله الحفصي ألقى القبض بعد ذلك على يحيى بن خلدون، وحجزت أمواله لكنه تمكن من الفرار والالتحاق ببلاط أبي حمو الثاني، ابن عين كاتباً له وقرية إليه وجعله من مستشاريه، ولهذا طاب المقام ليحيى بن خلدون بتلمسان واستقر هناك، ولكنه لم يدم طويلاً في كنف الدولة العبد الوادية إذ أصبح

* أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الأبلبي التلمساني، درس على يده ابني الإمام رحل في آخر المائة السابعة فدخل مصر والشام والحجاز والعراق، ثم قفل إلى المغرب فأقام بتلمسان مدة ثم انتقل إلى فاس ومات بهاسنة 757 هـ...، انظر: المقري، المصدر السابق، ج5، ص244، شكيب ارسلان، الحلل السندسية، ج1، المرجع السابق، ص340.

¹ ابن خلدون (عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج7، ص139.

² محمد رزوق، دراسات...، المرجع السابق، ص61.

** يحيى بن خلدون هو أبي زكريا يحيى ابن بكر محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون من مدينة استييلية، قتل في رمضان سنة 780 هـ، وهو لا يزال في مقتبل العمر...، ينظر: يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ص05.

البلاط الزياني منذ أوائل سنة 779هـ، مسرحا للمناورات، وقد كان يحي نفسه ضحية لهذه المناورات أين تم قتله بتحريض من أبوتاشفين سنة 780هـ¹.

كما هاجر أيضا بعض الأفراد من بلاد الأندلس وطاب لهم المقام ببلاد المغرب الأوسط وكان لهم الأثر سواء في الجانب الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي وحتى الجانب السياسي وبالتالي تنوعت اهتمامات الشخصيات الأندلسية فوجد مثلا أبو مدين بن شعيب*، الذي أثر في الميدان العلمي مفضلا الابتعاد عن كل ماشاغل الدنيا لأن أمور الآخرة أهم وأنجح، وهو اهتمام تطور من مجرد اهتمام بالعلم إلى زهد وتصوف، وكذلك أبو عبد الله الحلوي**²، كما كان هناك عائلات أندلسية كثيرة ارتبط إسمها ولقبها بالحرفة أو الصناعة التي يمتنونها مثل عائلة الحوكي نسبة إلى مهنة الحياكة، ابن محمد الأندلسي الحوكي، والعمار أحمد الأندلسي وصانع الصابون علي عمر الأندلسي، وصانع الشواشي الحاج علي بن الحسن الأندلسي³، وغيرها من العائلات والأفراد الأندلسيين الذين فضلوا البقاء والاستقرار في حصن الدولة الزيانية منذ قدومها خلال القرن 7هـ / 13م إلى غاية 10هـ / 16م.

¹ ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق، ج7، ص 187؛ محمد رزوق، دراسات...، المرجع السابق، ص ص57-59.

* أبو مدين شعيب، بن الحسين الأندلسي من ناحية اشبيلية من حصن يقال له قطنيانة من عمل اشبيلية، وهو الفقيه القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره إمام العباد والزهاد نزل بتلمسان بموضع يسمى بالعباد فنزل بها توفي بسبب مرض أصابه ودفن في العباد، الغبريني، المصدر السابق، ص- ص 22، 28.

** أبو عبد الله الشوذني الإشبيلي المعروف بالحلوي، اشتهر باسم الحلوي لأنه كان يصنع الحلوى ويبيعها ثم يتصدق بثمنها نزل تلمسان واشتغل مترجما بها، كان من كبار العباد العارفين، يحي ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص ص 127-128.

² محمد رزوق، دراسات...، المرجع السابق، ص 61.

³ عبد المجيد قدور، المرجع السابق، ص 175.

ثانيا: التأثير الاجتماعي للاندلسيين.

1- العادات والتقاليد:

إن استقرار الجالية الأندلسية ببلاد المغرب الأوسط في مختلف مدنه وحواضره كانت تشعر بوجود خصائص حضارية واجتماعية تميزها عن غيرها من سكان المناطق التي استقرت بها، فاحتفظت بعاداتها وتقاليدها فيما بينها، وداخل مناطق إقامتها، وظلت تحتفظ بسماتها وخصائصها بعد عدة قرون¹.

ومن بين تلك الخصوصيات الاجتماعية التي تميز بها الأندلسيون اهتمامهم الكبير بشكلهم وأناقتهم، ومن ذلك العناية بنظافة أجسامهم وثيابهم وكثرة استحمامهم، حتى أن البعض منهم كان يبيع ما عنده من قوت يومه ويطويه صائما ويشترى به صابونا ليغسل به ثيابه، كما عرفوا أيضا بأنهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال، ولهذا كثيرا ما يوصفون بالبخل².

ورغم اختلاف هؤلاء الأندلسيين من حيث نشاطاتهم إلا أنهم تركوا العديد من الآثار الاجتماعية في مدن وقرى المغرب الأوسط، سواء كانت المدن المتحضرة أو الريفية، فمن حيث تقليد اللباس والزينة نجد أن الجالية الأندلسية قد فرضت أذواقها على أغلب سكان المدن ويظهر ذلك التأثير في لباس المرأة وزينتها خاصة وأن المرأة المغربية حريصة على جمال مظهرها وحسن هندامها وأناقته، إذ ارتبط التجميل واستخدام الحلي (الحلى بنوعيه الذهب والفضة وفي مختلف أشكاله من أقراط وأساور وغيرها، فالذهب ملك الأغنياء والفضة تكون عند غيرهم) باللباس، فشاع عند النساء لبس القلائد والدباج والخلاخل والشنوف والأقراط ومن أكثر الحلي التي ارتبطت بالأندلسيين أكثر وحملوها معهم هو التاج.

¹ عبد المجيد قدورة، المرجع السابق، ص 175.

² المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص 223.

أما اللباس نجد أنهم اتخذوا الأقمشة الحريرية لارتباطها بطراز الحرير¹، إذ تختلف من حيث الجودة والثلثن، وكذلك اتخذهم الكتان والملحفة* والقطيفة والقطن وهي ثياب تلبس في الشتاء للوقاية من البرد والدرع أو الدراعة**، التي تلبس في الصيف، أما فيما يتعلق بكسوة الأقدام فكانت تتخذ الجوارب².

لم يقف التأثير الأندلسي في مجال الملابس على النساء فقط بل أيضا تأثر الرجال بلباس الأندلسيين فلبسوا الجبة***، والملف****، والدراعة وكان أكثر لباسهم يصنع من القطن ولبسوا أيضا الحشو*****، والغفارة*****، والسروال الذي كان لباس مشترك بين النساء والرجال، فتلبسه النساء عند الخروج ويمتاز هذا النوع من اللباس بطوله لغرض ستر سيقان النسوة، هذا وكان اللباس المطروز خاص بالوجهاء وبعض أهل العلم³. ومن هذا يتضح أن الأندلسيين قد أثروا في مجتمع المغرب الأوسط من حيث تقليدهم في اللباس، حيث كانت معظم الملابس التي تأثر بها المغاربة هي من الكتان والحرير والقطن.

¹ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 149.

* الملحفة: هي من الملابس الخارجية ملاءة مبطنة تسمى المبطن وتكون ذات لون أصفر أو أحمر وتلبس على القميص أو مع الأزار... ينظر، خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، (مذكرة ماجيستر) في التاريخ الإسلامي، إشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007، 2007م، ص 95.

** الدراعة: قميص يصنع من الكتان أو القطن وتلبس في الصيف تعرف أيضا باسم الجبة، مشقوقة من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار والدراعة لباس مشترك بين الرجال والنساء... ينظر، المقري، المصدر السابق، ج1، ص 222.

² كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 48.

*** الجبة: عبارة عن ثوب فضفاض ومستطيل يصنع من قماش ذي ألوان مختلفة وهي غالبا من الصوف وكانت الجبة المصنوعة من الجوخ ثياب للطبقة الثرية، المقري، المصدر السابق، ج1، ص 210.

**** الملف: هو من ملابس الشتاء وهو نوع من الصوف كان يرد من بلاد الروم إلى المغرب والأندلس، انظر: ابن الخطيب، الإحاطة...، المصدر السابق، ص 134.

***** الحشو: عباءة مبطنة يلبسها الأثرياء في فصل الشتاء في حين كانت عباءات الفقراء مبطنة بالقطن انظر: المقري، المصدر السابق، ج1، ص 211.

***** الغفارة وهي من ألبسة الرأس وتستدل على الكفين وقد طفي عليها اللون الأحمر والأخضر وهي صوفية، خميسي بولعراس، المرجع نفسه، ص 93.

³ عمر بلبشير، المرجع السابق، ص 149-150.

هذا ولم يكن التأثير الأندلسي في مجتمع المغرب الأوسط يقتصر على اللباس وأغراض الزينة فقط بل أيضا أثروا على اللغة، إذ حدوا من تأثير اللهجة البدوية الغالبة على بلاد المغرب، وجعلوا سكان المدن الساحلية وخاصة بجاية وشرشال وتلمسان يتأثرون باللهجة الغرناطية المتميزة برقة مخارج حروفها ولطافة مفرداتها التي أغلب الأحيان ينطق فيها القاف ألفا، كما ساعد الأندلسيون أواخر القرن 9هـ/15م، على نشر اللسان العربي في المناطق الجبلية بزكار وبني مناصر وبني صالح القريبة من تنس وشرشال والبليدة، إلى جانب اللهجات البربرية المحلية¹.

أما العادات والتقاليد الإسلامية، فمن المتعارف عليها أنها لا تختلف من منطقة إلى أخرى سواء في الأندلس أو في بلاد المغرب أو المشرق العربي، لاسيما فيما يتعلق بالاحتفالات وبالأعياد والمولد النبوي الشريف، وإن كان الاختلاف الوحيد في ذلك كله يكمن في المظاهر الخارجية والمبالغة في الاحتفالات بتلك المناسبات الدينية، وإن كان هناك تأثير أندلسي في هذا المجال فهو يعود إلى حب التقليد خاصة في أنواع الأكل والشرب²، أما فيما يخص بعض المناسبات فلقد تأثر أهل المغرب بالأندلس في الاحتفال بعيد النيروز* (عيد الربيع) وعيد المهرجان** أو العنصرة*** وعيد يناير (رأس السنة الميلادية)³، وكانوا يجتهدون لها في الاستعداد ويجعلونها كأحد الأعياد ويتهادون بينهم صفوف الأطعمة وأنواع التحف ويترك الرجال والنساء أعمالهم صبيحتها تعظيما لليوم، ويعدونه رأس السنة، بإضافة

¹ نصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 57-58.

² عبد المجيد قدورة، المرجع السابق، ص 176.

* النيروز: هو أحد الأعياد الكبرى في الأندلس، وقد اقترن الاحتفال به بالطبيعة يقع في بداية السنة في أوائل يناير من كل عام، وهو من بين الأعياد التي احتلت مكانة رفيعة في نفوس الأندلسيين، وبلغ اعتزازهم به حدا عظيما، وكانوا يعتبرون الليلة السابقة لهذا العيد أنسب الأوقات للزواج... ينظر خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 87.

** المهرجان: أصله فارسي يقع في السادس عشر ماهرماه ن شهور الفرس، وهو يقابل السادس والعشرين من أكتوبر بينما هناك من الباحثين من يجعله في الرابع والعشرين من يونيو ويمتد ستة أيام ويسمى عند الندلسيين بالمهرجان أو عيد سان خوان عيد ملاد يحيى بن زكريا عليه السلام...، ينظر: خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 88.

*** العنصرة: هي شعلة نارية يعملونها ليلة العيد أو المهرجان ويقفزون حولها، خميسي بولعراس، المرجع السابق، نفس الصفحة.

³ بلشبير عمر، المرجع السابق، ص 146.

الى الاحتفال بليلة الحجوز أو الحاجوز وتسمى عند الأندلسيين بليلة العجوز وهي ليلة آخر السنة الميلادية، حيث يوقدون النيران تحت الثمار والاستحمام، أما يوم العنصرة أو المهرجان كانوا يقومون بإجراء مسابقات أو مباريات في سباق الخيل، وتقوم النساء بتزيين بيوتهن، ويحرصن على الاغتسال في ذلك اليوم .

هذه بعض الآثار الاجتماعية الأندلسية التي تأثر بها مجتمع المغرب الأوسط وبقي محافظا عليها، إذ نجد أنه مازال إلى غاية اليوم الاحتفال ببعض المناسبات التي كانت موجودة عند الأندلسيون فحفاظ عليها السكان من شدة التأثر بها كالاحتفال بعيد يناير (رأس السنة الميلادية) من كل سنة والاحتفال بعيد النيروز الربيع، خاصة في المدن الريفية¹.

¹ كما السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 146.

خاتمة



إن الهجرات الأندلسية إلى المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة تعود إلى العصور الوسطى وتحديدا في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، حيث كانت هجرات قليلة، إلا أنها بدأت تزداد بشكل جلي مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي الذي عرف تدهورا سياسيا ساد الأندلس تمثل هذا التدهور في الهزيمة التي مني بها الموحدون في معركة حصن العقاب 609هـ/1212م ، التي شكلت نقطة تحول في الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس، بحيث مال ميزان القوى إلى جانب النصارى وزالت هيبة الموحدين والمسلمين عامة في ظل الخسائر المهولة.

كما زاد في تدهور الأوضاع السياسية اشتداد حروب الاسترداد النصرانية وسقوط معظم المدن الأندلسية في يدي النصارى خاصة المدن التي كانت أهم حواضر العالم الإسلامي كاطليطة وقرطبة واشبيلية وغيرها، وأخر هذه المدن غرناطة التي سقطت نتيجة لتدهور الأوضاع السياسية وما عرفته من فتن وصراعات كانت تعيشها دولة بني نصر للظفر بالسلطة أدت ببعض الحكام إلى عقد إتفاقيات وتحالفات تخدم مصالح العدو.

وفي ظل هذه الظروف والأوضاع السياسية المتردية التي أثرت على تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية اضطر عدد كثير من الأندلسيين إلى ترك معاقلم ومواطنهم الأصلية والهجرة نحو بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة، والذي كان في تلك الفترة تحت حكم دولة بني زيان، فطاب لهم المقام والاستقرار بمدنه بسبب المقومات الطبيعية للمغرب الأوسط من قرب المسافة مع العدو الأندلسية بالإضافة إلى تشابه المناخ وكذا تشجيع الحكام لهؤلاء المهاجرين وتقريبهم إليهم وإسناد بعض المناصب الهامة لهم.

ومما يمكن الوقوف عليه أن الهجرة الأندلسية خلال القرن السابع والعاشر للهجرة الثالث عشر و السادس عشر للميلادي، قد ضمت في صفوفها أعدادا كبيرة من الصناع والحرفيين والمزارعين، فقد ساهم هؤلاء المهاجرين بمختلف فئاتهم في الازدهار الحضاري للمغرب الوسط ، فمنهم من دخل في البلاط الزياني واتصل بأمرائه ومنهم من شغل مناصب مهمة فأصبحوا الفئة المسيطرة على دواليب الاقتصاد واستطاعوا امتلاك ثروات طائلة واختصوا



ببعض الحرف والصناعات كصناعة النسيج وصناعة الحلي وصناعة الجلود والحدادة واهتموا بالتجارة وغيرها.

وفي الزراعة أدخلوا الكثير من المزروعات التي لم تكن منتشرة في بلاد المغرب الأوسط كالليمون والبطاطس والقرنوب والقرمز... الخ، وطوروا إنتاج الكثير من المزروعات كالزيتون والتفاح والمشمش والبرتقال... الخ، وساعدهم على ذلك توفر المنطقة على الموارد المائية، بالإضافة إلى معرفتهم بطرق الري، حيث أمدوا السواقي وأقاموا الأحواض والصحاريح والقناطر والقنوات بالمناطق التي أقاموا بها.

كما كان لهم تأثير واسع في المجال الاجتماعي رغم أنهم كانوا يضعون أنفسهم في دار هجرة وبعدما تأكدوا أن عودتهم مستحيلة اندمجوا في المجتمع بالرغم من وجود خصوصيات تميزهم عن غيرهم، إلا أنهم تركوا بعض الآثار التي شاعت في مجتمع المغرب الأوسط خاصة في فرض أذواقهم في اللباس ووسائل الزينة في المناطق التي استقروا بها فتأثيرهم كبير على المجتمع سواء كانوا هؤلاء المهاجرين عائلات أو أفرادا فلقد تركوا بصمتهم في العادات والتقاليد خاصة في المناسبات الخاصة، واستطاعوا نقل حتى لهجتهم التي كانوا يتداولونها في بعض المدن.

وفي الختام يمكن القول بأن الهجرة الندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني وفي الفترة الممتدة من القرن 7-10هـ / 13-16م، لعبت أدوارا هامة في الازدهار الحضاري في المجال الاقتصادي والاجتماعي، وذلك بالرغم من الظروف السياسية التي كانت تمر بها كل من بلاد المغرب والأندلس لأن المغرب لم يكن بمعزل عن ما يحدث في الأندلس من أحداث.

ومما يؤكد ذلك هو توجه الحملات الصليبية نحو الشمال الإفريقي بهدف مطاردة المسلمين الفارين من بلاد الأندلس بعد سقوط غرناطة.

ويبقى موضوع الهجرة الندلسية مجالا واسعا للدراسة والبحث من خلال التطرق إلى وجهات أخرى هاجر إليها الأندلسيين كالمغرب الأقصى وبلاد الشام والعراق. وفي الختام أشكر الله تعالى الذي وفقني وأن يجعل هذه المذكرة في ميزان الحسنات.

الملاحم

الملحق رقم (01): قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس¹.

لكلّ شيء إذا ما تمّ نُقصانُ
هي الأمور كما شاهدتها دُولُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحدٍ
يمزقُ الدهرُ حتماً كلَّ سابغةٍ
وينتضي كلَّ سيفٍ للفناء ولو
أين الملوك ذُوو التيجان من يمنٍ
وأين ما شاده شدّادُ في إرمٍ
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ
أتى على الكلّ أمرٌ لا مردٌ له
وجبار ما كان من مُلكٍ ومن ملكٍ
دارَ الزمانُ على داراً وقاتلِهِ
كأنما الصعب لم يسهل له سببٍ
فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوعةٌ
وللحوادثِ سلوانٌ يسهلها
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له
أصابها العين في الإسلام فامتحنَتْ
فاسأل بكننسية ما شأن مُرسيةٍ
وأين قرطبة دارُ العلوم ، فكم
وأين حمصٌ وما تحويه من نُزه
قواعد كُنَّ أركان البلاد فما
تبكي الحنيفة البيضاء من أسفٍ
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد صارت كئناس ما
حتى المحاريب تبكي وهي جاملة

فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسانُ
من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ
ولا يلوم على حال لها شأنُ
إذا نبتت مشرفياتٌ وخرُصانُ
كان ابن ذي يزن والغمد غمدانُ
وأين منهم أكاليل وتيجانُ
وأين ما ساسه في القرس ساسانُ
وأين عادٌ وشدّادٌ وقحطانُ
حتى قضوا فكأنّ القوم ما كانوا
كما حكى عن خيال الطيف وسنانُ
وأمن كسرى فما آواه إيوانُ
يوماً ولا ملك الدنيا سليمانُ
وللزمانِ مسرّاتٌ وأحزانُ
وما لما حلّ بالإسلام سلوانُ
هوى له أحدٌ وانهدّ ثهلانُ
حتى نخلت منه أقطارٌ وبلدانُ
وأين شاطبة أم أين جيانُ
من عالمٍ قد سما فيها له شأنُ
ونهرها العذب فيّاضٌ وملآنُ
عسى البقاء إذا لم تبقي أركانُ
كما بكى لفراق الإلف هيثمانُ
قد أقرت ولها بالكفر عمّرانُ
فيهن إلا نواقيس وصلبانُ
حتى المناير ترثي وهي عيدانُ

¹ المقرئ، المصدر السابق، ج4، ص 486.



يا غافلاً وله في الدهر موعظة
 وماشياً مرحاً يلهيه موطنه
 تلك المصيبة أنست ما تقدمها
 يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
 وحاملين سيوف الهند مرهفة
 وراطين وراء البحر في دعة
 أعندكم نبأ من أهل أندلس
 كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
 ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
 ألا نفوس أبيات لها همم
 يا من لذلة قوم بعد عزهم
 بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
 فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
 ولو رأيت بيكاهم عند بيعهم
 يا رب أم وطفل حيل بينهما
 وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
 يقودها العليج للمكروه مكرهة
 لمثل هذا يلدوب القلب من كمد
 إن كنت في سنة فالدهر يقظان
 أبعد حينئذ تغر المرء أوطان
 وما لها مع طول الدهر نسيان
 كأنها في مجال السبق عقبان
 كأنها في ظلام النقع نيران
 لهم بأوطانهم عز وسلطان
 فقد سرى بحديث القوم ركبان
 قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
 وأنتم يا عباد الله إخوان
 أما على الخير أنصار وأعوان
 أحال حالهم ككفر وطغيان
 واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
 عليهم من ثياب الذل ألوان
 لهالك الأمر واستهوتك أحزان
 كما تفرق أرواح وأبدان
 كأنما هي يا قوت ومرجان
 والعين باكية والقلب حيران
 إن كان في القلب إسلام وإيمان

قائمة

المصادر

والمراد جمع



قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1. ابن أبي زرع (علي بن محمد الفاسي ت726هـ/1316م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972.
2. -----، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972.
3. ابن الأبار ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر ت658هـ/1260م ، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة.
4. ابن الخطيب (لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني) ت776هـ/1374م (الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تصحيح، البشير الفورتي ، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، (د.ت).
5. -----، أعمال الاعمال في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح ، ليفي بروفانسال، ط2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956.
6. -----، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح : محمد عبد الله عنان، ط1 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974.
7. -----، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، (د.ت).
8. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1421هـ/2001م.
9. ابن الشماخ (ابو عبد الله محمد بن احمد)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر بن محمد المهوري، الدار الغربية للكتاب، تونس، 1984، ص-ص116-112.
10. ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر ت327هـ/977م) ،تاريخ افتتاح الأندلس، تح : ابراهيم الايباري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبنانية، 1989.



11. ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي ت 367هـ/977م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996 .
12. ابن خلدون عبد الرحمن (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808هـ/1405) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000.
13. ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى ت 780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة، بيرقونطان الشرقية، الجزائر، 1903.
14. ابن عذارى المراكشي (أبو الحسن أحمد حي سنة 712هـ /1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ج-س. كولان، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980.
15. ابن مريم (أبو عبد الله أحمد التلمساني حي سنة 1014هـ/1401م) (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986).
16. ابن منظور المصري (محمد بن كرم بن علي ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1119.
17. الإدريسي (أبو عبد الله الشريف ت 584هـ/1154م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م .
18. أبو العباس الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد ت 704هـ/1304م)، عنوان الدراة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
19. البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت) .
20. ----- المسالك والممالك، دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 2003.



21. الحميري أي عبد الله محمد بن عبد المنعم ت727هـ/1326م (، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
22. الزركشي (ابو عبد الله محمد بن إبراهيم حي سنة 894هـ/1488م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماضي ط2، المكتبة العتيقة، تونس،
23. علي النسوسي (الخطابي الحسن الإدريسي ت1272هـ)، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب، مصر، 1349.
24. مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.
25. مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني، ضبط الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، (د. م.)، 2000.
26. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرية، دار الكتاب اللبنانية، القاهرة، 1989.
27. المراكشي (محي الدين عبد الواحد ت647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: سعيد العريان، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، 1963.
28. المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد ت1041هـ/1250م)، نفح الطيب من غصن الأدلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.
29. الناصري السلوي (احمد بن خالد ت1315هـ/1897م)، الاستقساء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
30. الوزان (حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت956هـ/1549م)، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983.



31. الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى ت914هـ/1511م)، المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه محمد حاجي وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981.
32. ----- ، أسن المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجروما ترتب عليه من العقوبات والزواج، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996.
33. اليعقوبي (احمد بن واضح)، كتاب البلدان، تحقيق : محمد امين الضناوي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م .
- 2- المراجع:**
34. أحمد أبو الفضل محمد، شرق الأندلس في العصر الاسلامي، دار المعرفة الجامعية، السويس، 1996.
35. أرسلان شكيب ، الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936.
36. أشباح يوسف ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر، محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الحانجي، القاهرة، 1996.
37. الاعرجي مؤيد نضال ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (رسالة ماجستير) في التاريخ الاسلامي، إشراف عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل، بغداد، 1425هـ/2004م.
38. برنشفيك روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988.
39. بشتاوي عادل سعيد ، الأندلسيون المواركة، انترناشيونال برس، القاهرة، 1983.
40. بوحوش عمار، التاريخ السباسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، درار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1997.



41. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ، ط2 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1385هـ/1965م.
42. الحجي عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م)، ط2، دار القلم، بيروت، 1981، ص268.
43. حركات ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرائية والفكرية منذ ما قبل الاسلام إلى العصر الحاضر(ق14هـ/20) من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1978.
44. الحريري محمد عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط3 ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
45. حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الاندلس ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1974.
46. حمدي عبد المنعم محمد حسن، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997.
47. الذنون عبد الحكيم ، آفاق غرطة، دار المعرفة، دمشق، 1988.
48. زروق محمد ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال ق16 و17م، ط3 ، افرقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988.
49. زروق محمد ، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، 1991.
50. سالم عبد العزيز سحر ، مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1990.
51. سالم عبد العزيز سحر، خلاصة تاريخ الأندلس، ط2، مطبعة المنار، مصر، 1924.
52. السامرائي خليل ابراهيم ، ذنون طه عبد الواحد ، مطلوب ناطق صالح ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية، لبنان، 2000.



53. السرجاني راغب ، قصة الأندلس، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2010.
54. سعيدوني عباس نصر الله ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، (الجزائر - تونس - طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت 1431هـ/2010م.
55. سعيدوني عباس نصر الله ، تاريخ العرب السياسي في المغرب، ط1، دار النهضة العربية، 1988.
56. سعيدوني عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/.
57. سعيدوني عباس نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1985.
58. السيد ابو مصطفى كمال ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوي العيار المعرب للونشريسي ،مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1996.
59. شاکر مصطفى ، الأندلس في التاريخ، دار إشبيلية، سوريا، 2002.
60. الشطشاط حسن علي ، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
61. الصلابي محمد علي ، صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي، دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، 1998.
62. طه احمد جمال ، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين 448-668هـ/ 1056 - 1269م دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء، الاسكندرية، 2001.
63. طه الذنون عبد الواحد ، حركة المقاومة العربية الاسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2004.



64. الطيبي أمين توفيق ، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997.
65. العبادي أحمد مختار، صور من حياة الحرب والجماد في الأندلس، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000.
66. عبد التازي الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد بني مرين والوطاسيين، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، 1988، ص8.
67. عصمت دندش عبد اللطيف ، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا(430- 515هـ / 1038 - 1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ- 1988م
68. عمر أحمد موسى عز الدين، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، 1983.
69. عنان محمد عبد الله ، دولة الاسلام بالأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، مكتبة الحانجي، ط2، القاهرة، 1990.
70. فرحات يوسف شكري ، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1، دار الجيل، بيروت ، 1993.
71. الفقي عبد الرؤوف عصام الدين ، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرقية، القاهرة، 1984.
72. فكري أحمد ، قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية.
73. قطب محمد علي ، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، ط1، دار النشر،(د.م)، 1985.
74. كرد علي ، غابر الأندلس وحاضرها، المطبعة الرحمانية، مصر، 1923.
75. كولان ،ج،س، الأندلس، تر: ابراهيم حور رشيد، عبد المجيد يونس، عيسى عثمان، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، 1980.



76. محمد حسن منى ، المسلمون في الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.
77. المطوي محمد العروسي ، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغزب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986.
78. مؤنس حسين، الثغر لأعلى الأندلس في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة، (د , م) 1992 .
79. مؤنس حسين، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الأموية 711-756م، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002.
80. مؤنس حسين، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1974.
81. نعنعي عبد المجيد ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
82. وات مونتغمري ، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، تر: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1998.
83. واشنطن ايرقنيغ، أخبار سقوط غرناطة، تر: هلاني يحي نصري، ط1، الانتشار العربي، لندن، 2000.
- 3- المجالات والدوريات:**
84. بوعزيز يحي ،"المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية"، مجلة الاصاله، العدد16، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ورقلة، 1975.
85. بوباية عبد القادر ، خديجة بورملة، "النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر الأبيض المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط ، مجلة عصور الجديدة"، العدد23، أوت 2016م.



86. مرجاني عبد القادر، "هجرات الموريسكين إلى الجزائر ومساهماتهم في مواجهة المدن الأيبيري في حوض البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي"، مجلة القرطاس، الأوغواط، العدد 11، جانفي 2019م.

87. ميلودي زهرة، "الرحلات البحرية ودور اليهود في تنشيط التجارة الساحلية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثالث، جامعة عبد الحميد مهرب، قسنطينة، رمضان 1437هـ - جوان 2016.

88. الطالب محمد: "الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين"، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975.

89. قدور عبد المجيد، "الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج"، مجلة العلوم الانسانية، العدد 20، ديسمبر 2003م.

4- الرسائل الجامعية:

90. بلشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأدنى والأقصى من القرن 6-9هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، (أطروحة الدكتوراه) في التاريخ الاسلامي، إشراف غازي مهدي جاسم، جامعة وهران، 2009-2010.

91. بولعراس خميسي، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، (مذكرة ماجستير) في التاريخ الإسلامي، إشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007، 2007م.

92. بوشقيف محمد، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط، (ق 8-9هـ / 14-15م)، (أطروحة دكتوراه) في التاريخ الوسيط، إشراف عبدلي لخضر، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2010، 2011.

93. مشرف لخضر، الأهمية الاستراتيجية للمغرب الأوسط على العهد الزياني (مذكرة ماستر في التاريخ وحضارة المغرب الإسلامي)، جامعة الدكتور مولاية الطاهر، سعيدة، 2014م/2015م.



94. هاللي حنفي ، الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17م (رسالة ماجستير) في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة وهران، 1999، 2000م.

الفهرسة



الصفحة	الموضوع
	شكر وتقدير
	إهداء
	المختصرات
أ	مقدمة
الفصل التمهيدي: السياق التاريخي للهجرات الأندلسية لبلاد المغرب (3-8هـ/9-15م)	
الفصل الأول: الأوضاع السياسية لبلاد الأندلس والمغرب الأوسط (7-10هـ/13-16م)	
17	أولاً: الأوضاع السياسية لبلاد الأندلس
17	1- المرابطين والموحدين
20	2- حروب الإسترداد
23	3- قيام دولة غرناطة
26	ثانياً: الأوضاع السياسية لبلاد المغرب الأوسط
26	1- دولة بني عبد الواد
28	2- التدخل المريني
32	3- التدخل الحفصي والدخول الإسباني
الفصل الثاني: أسباب الهجرة الأندلسية ومراحلها	
38	أولاً: أسباب الهجرة
38	1- سقوط غرناطة
41	2- إنشاء محاكم التفتيش
43	ثانياً: مراحل الهجرة
43	1- بعد سقوط غرناطة
46	2- في عهد الملكين فارديناندو وإيزابيلا
الفصل الثالث: التأثير الأندلسي في المجال الإقتصادي	
49	أولاً: في المجال الزراعي
49	1- أنواع المنتوجات الزراعية
51	2- عوامل تطور الإنتاج الزراعي



53	ثانيا: التأثير الأندلسي في مجال الصناعات
53	1- أنواع الحرف وأماكن استقرارها
56	2- دور النشاط الحرفي في التجارة
الفصل الرابع: التأثير الأندلسي في المجال الإجتماعي	
59	أولاً: أماكن استقرار الأندلسيين بالمغرب الأوسط
59	1- نماذج من المدن التي استقر بها الأندلسيين
61	2- بعض العائلات الأندلسية
64	ثانيا: التأثير الاجتماعي للأندلسيين
64	1- العادات والتقاليد
69	خاتمة
	قائمة الملاحق
	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس المحتويات

